المشرق

الرئاسة البطرسية في دياميس رومية

للاب لويس جلابرت اليسوعي

انَّ شهر حزيران ينتهي بذكر ذينك الرسولين المجيدين اللذين اسَّسا النصرانيَّة على أركان لا تتزعزع الواحد كزعيم الكنيسة ورأسها المنظور ونائب المسيح على الارض والآخر كرسول الامم ومبشّر العالم. وهو العيد الذي يستعدُّ لهُ الشرقيون استعدادهم لاعظم المواسم الدينيَّة بالاصوام الطويلة والصلوات المتواترة لعلمهم انهُ بعد اعياد الربّ وامهِ الطاهرة هو القطب الذي تدور عليهِ كنيسة المسيح

على انَّ نور الرسول الهامة يبهر في هذا النهار عيون المؤمنين فتراهم في الغالب يوجهون الالحاظ اليهِ دون رصيفهِ واذا ذكروا بولس أنَّما يكون ذلك عرضاً لوقوع استشهاد الرسولين في يوم واحد ولذلك يفردون لبولس تذكاراً خصوصياً لئلَّا يفوتهُ حقُّهُ من الاكرام. وكذا نفعل نحن ايضاً في هذه النبذة فنخصصها بذكر الصفاة وتعريف مقامهِ الفريد في بيعة الله

على أننا لا نقصد في هذه العجالة ان نبيّن رئاسة بطرس استناداً الى اقوال الانجيل الصريحة او الى شواهد الآباء الاوَّلين وملافنة الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة جيلًا بعد جيل كسلسلةٍ غير منفصمة ترقى الى عهد المسيح. فانَّ هذه الادلَّة شائعة يجدها القرَّاء في كتب عديدة فضلًا عمَّا نشرتهُ هذه المجلة مرَّةً بعد اخرى

بيد ان الله عزّ وجلّ اذخر في كنوز عنايته الصمدانية للمدافعين عن كنيسته اسلحة جديدة ليدافعوا عن تعاليمها ويبيّنوا صحّة اقوالها بازاء اعدائها . نريد بذلك الآثار الجليلة التي كانت مطمورة قبل عصرنا المتصرم في بطن الارض فاثارها قومٌ من اهل العلم واكتشفوا بها عالمًا جديدًا نطق من الاعماق بصدق معتقدات الكنيسة الرومانيّة حتى انهُ امكن البعض ان يؤلفوا تعليمًا مسيحيًا اسندوهُ فقط الى هذه الشواهد الاثريّة مع قطع النظر عمّا احترتهُ الكتب الدينيّة (١

واذا قصرنا كلامنا هنا عن رئاسة القديس بطرس وجدنا في دياميس رومية بينات لامعة تؤيد معتقد الكاثوليك في هذا الخصوص وذلك في قرون النصرانيّة الاولى حيث لم يمكن ان يُنسب للاحبار الرومانيين حبّ الترفّع والطمع في الرئاسة ما هو شاهد ساطع على انّ النصارى الاوّلين لم يخترعوا هذا الامر وانّما تسلّموه من اسلافهم كوديعة ثمينة ائتُمنوا عليها ليجيزوها للخلف من بعدهم (٢

*

اذا ما تجوّل الزائر في دياميس رومية بعد ان ازال عنها ردومها العلّامة دي روسّي وتلامذتهُ من بعدهِ او اذا دخل متاحف الواتيكان واستقصى آثارها قضى منهُ العجب لكثرة ما يلاقاهُ في اثناء تجوّلهِ من التصاوير التي تمثل القديسين بطرس وبولس . فانّ عددها ينيف على المئة صورة بحيث يصحّ القول انهُ ليس من صورة اخرى كرّر المصوّرون رسمها كصورتي هذين القديسين . وربّما صوّر بطرس وحدهُ او مع المسيح دون غيرهِ . فهذا التكرار في تصوير هامة الرسل ينطق بلسان حالهِ على ما كان لهُ في رومية من

---

١) راجع مقالة حضرة القس بطرس عزيز عن « سرّ الافخارستيا في العاديات المسيحية » (المشرق ٤ : ٦٧٢)

٢) قد راجعنا لتسطير هذه المقالة الكتب الآتية : J-B. de Rossi : 1° *Roma sotterranea* — 2° *Bulletino di Archeologia cristiana* = Spencer Northcote et W. R. Brownlow : *Rome souterraine* (trad. de P. Allard) = Garrucci : *Storia dell'arte cristiana* (6 volumes in-fol.) = H. Marucchi : *Eléments d'Archéologie chrétienne* (Desclée 1900 - 1903 = Martigny : *Diction. des Antiq. chrétiennes* (1889) = Peraté : *L'archéologie chrétienne.*



الشكل ٢ . تمثال القديس بطرس من القرن الخامس في كنيسة مار بطرس

النفوذ والتقدُّم منذ اوائل الكنيسة ولولا ذلك لما ظهر الداعي لتوفير هذه الصورة على هذا المنوال . هذا مع ما اخذتهُ يد الضياع او لم يُكتشَف حتى الآن ولا بدع انَّ المفقود اكثر من الموجود

ومن غريب امر صورة هذين الرسولين انَّها ليست كغيرها من صور الدياميس مبتكرةً مخترعةً كما تصوَّرتها مُخيَّلة المصوّرين يتصرَّفون فيها كيفما شاؤُوا على مثال رسمهم لصور السيّد المسيح او العذراء الطاهرة اللذين صوَّرهما المصوّرون ولم يتَّبعوا في رسمهما صورةً مألوفة بل اتَّخذوا لذلك ما رأوهُ اقرب الى ما تخيَّلهُ وهمهم فيهما (١ . والامر على عكس ذلك في صورة القديسين بطرس وبولس فانَّ التصاوير العديدة الباقية منهما تنبئ كلُّها بشخصَين عاشا بين اهل رومية فانطبعت

١) قد ذكرَ قدماء الكتبة كاوسابيوس في تاريخهِ والقديس اوغسطينوس في اتّفاق الانجيليين

صورتهما في ذاكرتهم فرسموهما كما عرفوهما بالعيان

واقدم ما وجد من ذلك نوطٌ من الشَّبَه مصون في المتحف الواتيكاني عثر عليه بُلدِتي (Boldetti) في مدفن دوميتيلّا الشهير والعلماء مجمعون على انَّ هذا الاثر من القرن الثاني للمسيح لما بينهُ وبين طريقة ذلك العصر من التشابُه في التصوير. ومن ثم تكون هذه الصورة قريبة العهد من تبشير الرسولين في رومية واستشهادهما في أيام نيرون

والنوط المذكور قطرهُ سبعة سنتيمترات ونصف حسن الضرب بيّن الهيئة. فيه رأسان متوازيان احدهما راس القديس بطرس كما يُرى في الآثار القديمة. اعني انَّ شعرهُ قصير جعد وكذلك لحيتهُ قصيرة متلوية في هيئتهِ بعض الخشونة. وبازائهِ راس بولس الرسول في سحنتهِ إباء وعزَّة وهو اصلع الراس طويل اللحية. لا يصعب على الناظر اذا رآهما وقابل بينهما وبين صور الرسولين ان يعرفهما وان لم يُكتب اسمهما على هذا النوط (انظر الشكل ١)

ويؤيد قولنا وصف قديم لهيئة القديسين الرسولين بطرس وبولس نقلهُ نيقيفورس كالستوس في القرن الرابع عشر (ك ٢ ع ٣٧) عن كتب قديمة وجدها في خزانة كتب القسطنطينيَّة الملكيّة الغنيّة بالمخطوطات. ووصفهُ اطبق شيء لصورة النوط المذكور. قال: انَّ بطرس كان كثَّ شعر الراس واللحية قصيرهما. وجههُ مستدير فيه بعض ابتذال وفي حاجبَيهِ تقوُّس وانفهُ طويل القصبة مفرطح في طرفهِ. امَّا بولس فهو اصلع الجبين لحيتهُ طويلة مستقيمة وجههُ بيضوي الشكل حاجباهُ قريبان من عينيهِ انفهُ مستطيل في سواء. وفي هيئتهِ دقَّة ورقَّة كما هو مألوف عادة القوم الوسط ذوي البنية الضعيفة (راجع رسالة بولس الثانية الى اهل قورنتس ١٠: ١٠)»

فهذا الوصف لعمري ينطبق الانطباق التامّ مع الصورة التي نحن في صددها. ولا عجب فان القديس باسيليوس كان سبق وكتب في القرن الرابع (الرسالة ٣٦٠ الى

والقديس باسيليوس في رسالتهِ ٣٦٠ وترتليانوس المعلّم في كتاب العفّة انهُ كانت تُعرف في زمانهم صورٌ قديمة للسيد المسيح والرسل ولاسيّما القديسين بطرس وبولس الَّا انَّ هذه الصور التي اشاروا اليها فُقدت كلّها

بليانوس) «انّ كلّ الكنائس كانت مزيّنةً بصورة الرسولين بطرس وبولس وانّ العادة في رسم صورتهما راقية الى زمن الرسل»

*

ولكن لا ترى فقط في تصاوير الدياميس صورة بطرس الرسول متواترةً بل تراها في الغالب مع الرموز الدالّة على السيادة والسيطرة وذلك سواء كان بطرس وحدهُ او مع غيرهِ من التلاميذ او الانبياء او المسيح نفسه

١ ﴿ بطرس وحدهُ ﴾ اذا مُثّل هامة الرسل منفردًا رأيت في يدهِ المفاتيح المؤذنة برتبته السامية اشارةً الى قول الرب: «واعطيك مفاتيح ملكوت السماوات» . وفي بعض الاحوال ترى المسيح عينهُ مصورًا وبيدهِ الالهيَّة يسلّم تلميذهُ المنحني امامهُ المفتاح الرمزيّ او يقلّدهُ مفتاحين او ثلاثة مفاتيح. والصور الممثّلة لذلك عديدة نكتفي بذكر واحدة منها هي بمكان من القدم وجدها بُتاري الاثريّ الشهير على ناووس يرتقي عهدهُ الى القرن الثالث

ولنا من هذا القبيل مثال في ذاك التمثال البديع الذي يرى في صحن كنيسة القديس بطرس في رومية تحت قبّتها الشاهقة وهو من الشبه (البرنز) يرقى عهدهُ الى القرن الخامس للميلاد ولبطرس صورتهُ التقليديّة المألوفة وهو جالسٌ على كرسي السيادة وفي يدهِ المفاتيح كما ترى في الشكل الثاني (الصفحة ٥٧٩)

٢ ﴿ بطرس مع بولس ﴾ قلنا في ما تقدّم انّ الصور التي فيها القديسان الرسولان لعديدة جدًّا. ومن جملتها الاقداح التي كان يشرب فيها المسيحيّون الاوّلون في حفلاتهم الدينيّة أيام الاعياد. فان هذه الأقداح كلّها من الزجاج الملوّن بالتصاوير . امّا التصاوير فرُسمت على صفائح رقيقة من الذهب وجُعلت بين طبقتين من الزجاج وقايةً لها. والاب غاروشي اليسوعيّ قد نشر هذه التصاوير في كتابهِ الفريد عن العاديّات النصرانيّة وعددها لا يقل عن ٣٤٠ قدحًا منها ٨٠ تمثّل صورة الرسولين بطرس وبولس امّا منتصبين وامّا جالسين مع اسميهما (PETRVS, PAVLVS). ولئلّا يُخدع احد في مرتبة القديس بطرس بالنسبة الى بولس ترى المصوّر يجعل لبطرس علامات تميّزهُ عن رفيقهِ . فاذا كانا منتصبين يُرى طرف ثوب بطرس مزيّنًا بالدرر والحليّ دون بولس . واذا كانا جالسين ترى بطرس جالسًا على كرسي السلطة

مستندًا اليهِ كالسيّد اماَّ بولس فهو جالس على مقعد لا سند لهُ. واذا مُثِّلا متكلمين متباحثين ترى في الغالب بطرس يتكلَّم دون بولس وبولس ينصت اليهِ كالتلميذ الى معلمهِ ويؤمن على قولهِ او يقبل منهُ كتابًا يسلمهُ لهُ بطرس ليحتفظ عليهِ. وفي كل هذه الحالات كما ترى دلائل واضحة على رئاسة بطرس اقرَّ بها المسيحيون الاوَّلون في وقت الاضطهادات فدوَّنوها بالرسم لمَّا كانوا يحتجبون في هذه الدياميس

٣ بطرس مع بقيَّة التلاميذ — بين الآثار المسيحيَّة القديمة المكتشفة في الدياميس وغيرها عدَّة نقوش وتصاوير تمثل بطرس مع الاثني عشر وفي كلّها لبطرس امتيازات شرفيَّة تدلُّ على تقدُّمهِ عليهم. فيُرى حينًا لابسًا شبه التاج بينما يكون بقيَّة الرسل مكشوفي الرأس كما في جرن العماد القديم المحفوظ في مدينة راڤنة. وحينًا ترى حول رأسهِ اكليلًا من النور وذلك حتى في حضور السيّد المسيح الممتاز بمثل هذه الدائرة النوريَّة

٤ بطرس والمسيح — اذا مُثِّل المسيح في هذه العاديات حاضرًا



الشكل ٣. المسيح يسلّم للقديس بطرس ناموسهُ (عن اثر من القرن الثالث)

بين تلاميذهِ تراهُ يختصُّ بطرس ببعض الاختصاصات الدالَّة على رئاستهِ فتارةً يسلّمهُ المفاتيح كما سبق. وتارةً يعهد اليهِ بكتاب ناموسهِ كما كان يفعل ملوك رومية اذا قلّدوا عمّالهم عملًا ما فكانوا يسلّمونهم دستور الدولة. مثال ذلك ناووس جميل النقش يُحفظ في المتحف اللاتراني تاريخهُ من عهد قسطنطين الكبير. وفي احد وجوههِ المسيح وعلى جانبيهِ بطرس وبولس. فالربّ يقدّم لهامة الرسل دَرْجًا يحتوي شريعتهُ فيقبلهُ بطرس منهُ تعالى على غطاء يستر يديهِ مشيرًا بذلك الى اجلالهِ للكتاب

وفي بعض العاديّات قد كُتب على الدَّرْج هذه الالفاظ « DOMINVS DAT LEGEM » اي « يعطي الرب ناموسهُ » اشارةً الى ناموس الرب المعطى اوّلًا لموسى على طور سينا ولبطرس كبير احبار العهد الجديد. ويُرى بطرس في بعض الآثار حاملًا صليبهُ على منكبيهِ كأنهُ بلسان حالهِ يجيب المسيح بانهُ مستعدٌ ان يبذل نفسهُ للموت دون ربّهِ ليحفظ الوديعة التي استودعها وفي اعلى الصورة كلمتان يونانيّتان كُتبتا باللاتينيّة « PIE ZESES » اي « عِشْ بالتقى » هما توصيةُ السيد المسيح لتلميذهِ ليكون قدوة لمرؤوسيهِ (انظر الشكل الثالث في الصفحة ٥٨٢)

وممّا امتاز بهِ بطرس في بعض الصور التي تمثّل المسيح عصا الرعاية او صولجان الملك



الشكل ٤. بطرس وبيدهِ عصا الرعاية (عن اثر من القرن الرابع)

الذي يمسكهُ بيدهِ دلالةً على سلطتهِ السامية. كما ورد في ناؤوس نُقش في القرن الرابع ويُحفظ في المتحف اللاتراني. وصورة بطرس في هذا الناؤوس مرّتين المرّة الاولى يُرى امام المسيح الذي يَعلم تلميذهُ بانهُ سيجحدهُ ثلاثاً وبطرس هناك واقف امام المسيح وبيدهِ عصا الرعاية وعند أقدامهِ الديك المشير الى جحودهِ. ثم بقرب هذه الصورة الاولى صورة ثانية يُرى فيها بطرس في وسط جنديين من جنود هيرودس اغريبا وهما يقودانهِ الى السجن لكنَّ بطرس لا يزال حاملاً في يدهِ الصولجان كأنهُ يريد بذلك انَّ ليس من قوَّة بشريَّة تنزع عنهُ السلطة المعطاة لهُ من المسيح (انظر الشكل ٤ في الصفحة ٥٨٣)

٥ (بطرس وموسى) لا يجهل احدٌ انَّ موسى كليم الله كان قُلِّد امر اسرائيل ليقودهُ ويسوسهُ ويدخلهُ ارض الميعاد ولمّا كان شعب الله رمزاً عن كنيسة المسيح والمؤمنين بهِ اقتضى ان يكون بطرس بمثابة موسى يقود المسيحيين الى ارض ميعاد الابرار وفردوس الصدّيقين. وهكذا اعتبرهُ النصارى الأولون فجمعوا بينهُ وبين موسى النبي في صور الدياميس وجعلوا في يدهِ عصا موسى التي غلبت سحر المصريين واجرت المياه من الصخرة المرموز بها عن المسيح (كما جاءَ في رسالة بولس الاولى الى اهل كورنتس ١٠: ٤)

وقد تفنَّن مصوِّرو الدياميس في هذه المقابلة بين بطرس وموسى فتارةً يمثلون في الصورة نفسها موسى النبي وبطرس الرسول. ولكلٍ منهما علامةٌ تدلُّ على رئاستهِ. ففي مدفن القديس كالستوس صورةٌ نُقشت في القرن الثاني للمسيح يُرى فيها على احد طرفيها موسى الكليم وهو يضرب الصخرة بعصاهُ وفي الطرف الآخر بطرس جالس على صخرة وهو يصطاد السمك اشارة الى قول المسيح لهُ (لوقا ٥: ١٠): «لا تخف هاءنذا جعلتك منذ الآن صيَّادًا للبشر»

وتارةً يمثلون موسى وحدهُ ضاربًا للصخرة. ولكن لئلاَّ يفوت احدًا انَّ ذلك لرمزٌ عن المسيح الذي هو الصخرة وعن بطرس قائد الشعب المسيحي الذي يسيل ينابيع النعم بعصاهُ اي بالسلطة المطلقة المعطاة لهُ من الربّ ترى موسى مصوَّرًا بهيئة بطرس المعروفة التي وصفناها سابقًا

وفي بعض هذه الصور ما هو اجلى بيانًا من ذلك فانَّ في احد نواويس المتحف

اللاتراني بعد ان صُوِر موسى ضاربًا للصخرة ترى بطرس الرسول يقيّدهُ جند هيرودس وهو يشير باصبعهِ الى الصخرة المضروبة والى المياه الجارية منها كانهُ يقول لهم انهُ هو موسى الذي يسقي شعب الله بمياه الحياة

وترى بعض الاحيان الواقع المذكور منسوبًا الى بطرس وحدهُ دون موسى. ففي احد الاقداح التي سبق ذكرها وهو في متحف الواتيكان صورةٌ تمثل القديس بطرس ضاربًا الصخرة بعصاهُ واسمهُ باللاتينيَّة عند رأسهِ لئلا تبقى شبهة في انَّ بطرس هو موسى العهد الجديد (انظر الشكل ٥)

فممَّا تقدَّم يرى القارئ ما لهذه العاديَّات من القوَّة في تعريف رئاسة بطرس على الكنيسة جمعاء. فان كان النصارى الاوَّلون في القرون التابعة للميلاد يعتبرون بطرس هذا الاعتبار ويكرمونهُ ليس فقط كرسول جليل بل كإمام عظيم خوَّلهُ الربُّ ملء السلطة على كل اغنامهِ الناطقة وجعل في يدهِ صولجان الملك واقامهُ كموسى لقيادة شعبهِ المختار فمن يتجاسر ان ينكر هذه العقيدة او يجعل هذه الرئاسة شرفيَّة محضة او يعزو هذه السلطة لاختراع بشريّ مستحدث فيكذّب الكاثوليك في صحَّة ايمانهم؟ ولو لم يتقرَّر لدى القدماء من الصَّوريين انَّ هذه السلطة إلهيَّة لا ينكرها احد وان المسيح نفسهُ اعطاها لرسولهِ لما تفنَّنوا في نشر ذلك على وجوهٍ متنوّعة. فلا بُدَّ اذن من القول انَّ رئاسة بطرس على كل الكنيسة احدى المعتقدات التي اخذها المؤمنون من الرسل انفسهم وان الرسل تعلَّموها من المسيح. وتزيد على قولنا ان الامركان شائعًا حتى عند الوثنيين فضلًا عن النصارى فانَّ اوريجانس المعلّم في كتاب ردّهِ على كلسس (ك ٢ ع ١١) يخبر عن فلاغون (Phlegon) احد مشاهير كتبة الرومان انهُ لمَّا كتب عن المسيح «اقرَّ معترفًا بأنهُ سبق وعرف امورًا قبل وقوعها الَّا انَّهُ وهِم باسم المسيح ودعاهُ بطرس(١» فبيَّن بنفس وهمهِ ما كان لبطرس من علوّ المقام حتى ان الوثنيين كانوا يجعلونهُ بدلًا من المسيح ويدعون المسيح باسمهِ. والسلام

---

١) وهذا قولهُ بحرفهِ « Rerum quarumdam futurarum præscientiam Christo tribuit, *quamvis errel in nomine, Petrum pro Jesu appellans* » (*Orig. contra Celsum* II, 14)

دخول بطرس الرسول الى رومية

بقلم الشاب الاديب محبوب الخوري الشرتوني من تلامذة مدرسة الحكمة الزاهرة

مجَّدَ ٱللهَ اذ رآها بهيَّةً تتهادى بحُلَّةٍ سُندُسيَّهْ
هيَ روما وليس يخفى عليكم حُسنُ تلك ٱلمدينة ٱلقيصريَّهْ
فٱلصفا حينَ عن بعيدٍ رآها وهي تزهو تحت ٱلسماء ٱلنقيَّهْ
قال أشتاقُ ان تكوني عروسًا ليسوع ٱلمسيح فادي ٱلبريَّهْ
يا رسولَ ٱلأنام مهلًا فرُوما لا تني عن فروضها ٱلدينيَّهْ
كيف تُهدَى الى ٱلمسيح عروسًا وهي تهوى ٱلديانة ٱلوثنيَّهْ
قد اتاها وليس يرضى مُعينًا بهِ يقوى على ٱقتحام ٱلرزيَّهْ
لا حُسامٌ لا درهمٌ لا انيسٌ لا جليسٌ لا عاضدٌ لا مطيَّهْ
فهو مثل ٱلذين في القفر راموا من لموع ٱلسراب أرضًا نديَّهْ
هو شهمٌ ابيُّ نفسٍ ولكن ليسَ يكفي للنصر نفسٌ ابيَّهْ

*

بينما كان في ٱلطريق رآهُ رجلٌ كان من ذوي ٱلأريحيَّهْ
فدعاهُ لمَّا دراهُ وحيدًا آتيًا من مدينةٍ اجنبيَّهْ
ثم دارَ ٱلحديثُ فٱستمعُوه وٱعجبوا يا ذوي العقول ٱلذكيَّهْ

الروماني: يا غريبًا من اين انت وماذا تبتغي في ديارنا ٱلروميَّهْ ؟

الغريب: صاحِ اني من الجليل فوا شو قي الى حُسنِ داريَ ٱلوالديَّهْ
بنتُ عنها لاجل نشرِ امورٍ لم تزل في ديارِكم مطويَّهْ

ر فأفدْني عنها لاني ولوعٌ بتقصّي ٱلحوادث الخارجيَّهْ

غ لم يحنْ بعدُ موقتٌ فيهِ أُبدي ما حوى ٱلقلبُ من أمورٍ خفيَّهْ
من امورٍ لقد جرت نُصبَ عيني فهيَ بالصدق كالنهار جليَّهْ

من امورٍ لسوف تقلبُ وجهَ ألـ ارضِ قلباً بسرعةٍ كليَّه
فستُجلَى عليك بعد قليل وتُذاع ٱلحقائقُ ٱلخفيَّه

ر لا تسوّف باللّه سردَ امورٍ قد اثارت اشواقيَ القلبيَّه

غ فاذا كان صاحِ لا بُدَّ منها فاصغَ واسمع لصدقِ هذي القضيَّه
جئتُ حتى أُذيع مجدَ إلهٍ صنعَ ٱلارضَ والسماء العليَّه
هو حقٌّ وذاك لا ريبَ فيهِ من اتاهُ يجدْ حياةً هنيَّه
هو للارض قال كوني فكانت ولشمسٍ ضوئي فأضحت مضيَّه
ذاك ذاك المسيح من بدماهُ قد محا سيئاتنا البشريَّه
هو ان شئتَ اصلهُ ناصريٌّ وهو من نسل أُسرةٍ ملكيَّه
لم يغادرْ رَبعَ ٱلسماواتِ الّا ليَبُثَّ ٱلهدى ويمحو ٱلخطيَّه
مات صلباً بُعيدَ ان أَلَموهُ بضروب القساوةِ البربريَّه

ر أيموتُ الإلهُ محيي البرايا؟ يا لها من فظيعةٍ كفريَّه

غ مات لكن قد قام بعد ثلاثٍ وتراءى لمريم ٱلمجدليَّه

ر لا وحقِّ النجومِ لم تُبعَثِ ٱلامواتُ يوماً من القبور الدجيَّه
كلُّ هذا خرافةٌ وحديثٌ ما سمعنا بمثلهِ في البريَّه

غ سوف تدري اني مصيبٌ بقولي حين روما تصيرُ نصرانيَّه
حين يعلو بها لواءُ إلهي ويُناجي ٱلكواكبَ ٱلدريَّه

ر أبجيشٍ تودُّ تغييرَ روما أم بسلِّ المناصلِ ٱلهنديَّه؟
ام غنيٌّ يا صاحِ انت فتأتي جاذباً بالغنى قلوب ٱلرعيَّه؟
ام فصيح اللسان تسطو على ٱلقلـ ـبِ بداعي اقوالك ٱلحكميَّه؟

غ أسيفٌ او فصاحةٌ او ثراءٌ انَّ نفسي عن كل هذا غنيَّه
فإلهي الذي عليهِ ٱتكالي عاضدي في البوائق الزمنيَّه
فالرزايا ما ساورتنيَ الّا كنفتني أمدادُهُ العلويَّه

ر يا غريبَ الدارِ أَتعظ بكلامي   لا تصدّق أفكارك الوهميَّهْ
انَّ روما قويَّةٌ لا تُبارى   وهي تبقى طول الزمان قويَّهْ
كيف تلقى نبالها صائباتٍ   كيف تلقى رِماحها ألسمهريَّهْ
كيف تلقى أُسودَها زائراتٍ   كيف تلقى جيادَها الأعوجيَّهْ

غ إنْ اتتني لقيتُها بفؤادٍ   من حديدٍ وعزمةٍ صخريَّهْ

ر انت لا شكَّ في جنونٍ عظيمٍ   سوف يُلقيك في وهاد البليَّهْ
أَبروما تروم انفاذَ امرٍ   خارج عن حدودنا العقليَّهْ
أَيها الابلهُ ارتحلْ عن بلادٍ   طاولتْ بالعُلى النجومَ الزهيَّهْ
انتَ تبغي لها انقلابًا ولكن   دونَ نيل المرام نيلُ المنيَّهْ

*

قال هـذا وراح عنهُ حثيثًا   ساخرًا من اموره المبغيَّهْ
ما دَرى انَّ في الزوايا خبايا   ليس تبدو لأعيُنٍ عاليَهْ

*

يا رسولَ المسيح لا تخشَ واقدم   مُذكيًا في حشاك نارَ الحميَّهْ
لا تخف من غِرار روما مضاءً   سرْ وكسّرْ اصنامها الخزفيَّهْ
ربِّ ساعِد هذا الغريب الذي قد   جاء يعدو من البلاد القصيَّهْ
ربِّ يسّر ولا تعسّر عليهِ   ربِّ بلّغ رسولك الأمنيَّهْ
أيهـا الناس ان شرعتم بامرٍ   لا تقولوا يومًا ستأتي البقيَّهْ
واثبتوا كالرسول في الامر حتى   ينتهي فالثبات خير سجيَّهْ
فهو قد نال ما تمنّاهُ لكنْ   بعد ان جدَّ بكرةً وعشيَّهْ
بثَّ روح المسيح في جسم روما   نازعًا من فؤادها الهمجيَّهْ
اين صارت ساداتها خبّروني   اين صارت تيجانها الذهبيَّهْ
اين تلك الاصنام وهي ضخامٌ   أينَ اينَ الهياكلُ الوثنيَّهْ
ليسَ فيها الّا الكنيسةَ صرحٌ   واقفٌ ثمَّ وقفةً سرمديَّهْ
سائلوها لِمْ لا تُهَدُّ تُجِبْكم   انني فوق صخرةٍ مبنيَّـهْ

يا حَمام الاراكِ طِرْ نحو روما — وأحمل الشوقَ من قلوبٍ وفيَّهْ
حيِّ روما عنَّا بكلِّ احترامٍ — مُظهِرًا واجباتنا البنويَّهْ
حيِّ أفقًا ينيرها بسناهُ — حيِّ تلك المرابع البابويَّهْ
حيِّ فيهـا ذاك اللواء المعلَّى — حيِّ تلكَ الكنيسةَ الازليَّهْ
حيثُ خطَّ الالهُ سطرًا عليها — وهو« دومي دومي الى الابديَّهْ»
يا ديار العُلى عليكِ سلامٌ — في سلامٍ والفُ ألفُ تحيَّهْ
ليسَ نرضى الَّا لديكِ خضوعًا — فاقبليهِ منَّا برسم هديَّهْ
ربِّ أيِّدْ روما وعزِّزْ بنيها — ربِّ وطِّدْ آساسها البطرسيَّهْ

اللُّغات واللَّثغات

لحضرة الكاتب العالم المحقق والباحث المتفنن المدقق الاب انستاس الكرملي (تتمَّة)

هيَّا بنا الآن نذكر اللَّثغات بعد تعديد اللغات وهي ايضًا كثيرة عندهم. وذلك لان العرب لمَّا خالطوا أممًا شتى في عُصور مختلفة اثرت تلك المجاورة على لغتهم. والحروف التي تدخلها اللثغة متعدِّدة الَّا ان ابا عثمان ذكر منها خمسة على ما نقلهُ الجاحظ في كتابهِ البيان والتبيين (١ : ١٦) إذ قال :

« قال ابو عثمان: وما يحضرني منهـا اربعة احرف: القاف والسين واللام والرَّاء. فامَّا التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوِّرهُ الخطُّ لانهُ ليس من الحروف المعروفة وانَّما هو مخرج والمخارج لا تُحصى ولا يُوقف عليها. وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم. وليس ذلك في شيء اكثر منها في لغة الخُوز. وفي سواحل البحر من اسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير فمن يستطيع ان يصوِّر كثيرًا من حروف الزَّمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسي اذا ترك الافصاح عن معانيهِ واخذ في باب الكناية وهو على الطعام. فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء كقولهِ لابي يكسوم: ابي يكثوم. وكما يقولون: بُثرة اذا ارادوا: بُسرة. وبثم الله. اذا ارادوا: بسم الله (قلت: ومن ذلك ما جاء ذكره في المزهر ١ : ٢٦٥) قال: قال ابن السكيت في الابدال. يقال

اتيتُـهُ مَلَسَ الظلام وملثَ الظلام (اي عند اختلاط الظلام) . والوَطس والوطث . (الضرب الشديد بالخفّ) وناقة فاسج وفاثج (وهي الفتيَّة الحامل) . وفوهُ يجري سَعابيب وثعابيب (وهو ان يجري منهُ ماءٌ صافٍ فيهِ تمدُّدٌ) وساخت رجلهُ في الارض وثاخت (اذا دخلت) . . . الخ وهناك امثلة عديدة غير هذه فراجعها)

« والثانية اللثغة التي تعرض للقاف فان صاحبها يجعـل القاف طاء . . فاذا اراد ان يقول : « قلتُ لهُ » قال : « طُلت لهُ » واذا اراد ان يقول : « قال لي » . قال : « طال لي » (قلتُ : وقال في المزهر ١ : ٢٦٩) فاللثغة . . . في القاف [عند العرب] ان تبدل طاء وربَّما أُبدلت كافًا . اهـ . الّا اني لم اعثر الى الآن على الفاظ قد أُبدلت فيها القاف طاء . وهي موجودة لا شكَّ في العربيَّة ويعثر عليهـا من ينعم النظر في تتبُّع الكلم . وامَّا ابدال القاف كافًا فالشواهد كثيرة منها ما جاء ذكرها في الجمهرة : الحزقة : ضرب من المشي والحزكة ايضًا . ويقال اقهَدَّ واكهَدَّ : اذا رعش من الضعف . وكلاكل وقلاقل : قصير مجتمع . ورجل مُكبَّن ومُقبَّن : متقبِّض . والقرشب والكرشب . المسنّ . وناقة هكمة وهقِمَة : اذا ارادت الفحل

(ومن اللثغة التي تعرض للقاف قلبها همزةً كما يفعلهُ طائفة عظيمة من اهل الشام (وراجع ما قالهُ حضرة الاب لامنس اليسوعيّ في المشرق ٦ : ٨٣٦ و ٨٣٧) ثم قَلْب هذه الهمزة عينًا بطريق العَنْعَنَة . فلقد قرأت في المقتطف غير مرَّة كلمة « أظان » بمعنى المرجل . فان هذه الكلمة تركيَّة وهي فيها « قزَغان » فقالوا بالحذف للتخفيف « قزان » وهي الشائعة ولمَّا كان المقتطف سوريَّ الاصل قال : « أزان » ثم فخَّم الزاء على الطريقة السوريَّة فقال : « أظان » وهو من الغرابة بمكان سحيق — وقد استنتج حضرة الاب لامنس في بحثهِ عن ابدال القاف همزة ما نصُّهُ : « فيمكن اذًا القول « قطعًا » ان لفظ القاف المستحدث في الشام لم يسبق القرن الثالث عشر . ولعلهُ احدث من ذلك العهد بكثير » اهـ

(قلنا : انَّنا نخالف راي حضرة الاب المذكور . فان لفظ القاف همزة كان معروفًا عند العرب قديمًا (١ وان كانت الامثلة عزيزة في هذا الباب . من ذلك انهُ : « كان باب العيد في القاهرة يُسمَّى خانكاه وكانت اولًا دارًا تُعرَف في الدولة الفاطميَّة بدار سعيد السعداء وهو الاستاذ « قنبر » ويقال : عنبر (وهو تفخيم أنبر) ثم وُقفت على فقراء

١) انَّ كلامنا « عن الشام » ولم ننكر انَّ بعض العرب ابدلوا القاف بالهمزة (هـ . ل)

الصوفيّة الواردين من بلاد شاسعة وذلك سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م)» عن دائرة المعارف في مادّة خانكاه. فهذا شاهد اوّل مأخوذ في بلدة القاهرة وقد وقع في القرن الثاني عشر — واماً الشواهد العربيّة اللغويّة القديمة فقد جاء في المزهر (١: ٢٦٢) تَصَوَّقَ في حدثه كتصوّأ. وقد ذكر اللغويون الأقز كالقفز زنةً ومعنًى. واستنشأت الطيب واستنشقتهُ. ومُخْرَنبِقٌ ومُخْرَنبئٌ (وفيها لثنتان قلب الحاء والقاف همزةً) الخ

(ولعلَّ كان اصل هذه اللثغة ان قوماً من العرب كانوا يجعلون القاف كافاً (والشواهد تُعدُّ بالمئات) ثم تناولها عرب آخرون ممَّن كانت لثغتهم ابدال الكاف همزة قال في المزهر (١: ٢٦٩): «.. فاللثغة... في القاف ان تُبدل طاء وربّما ابدلت كافاً وفي الكاف ان تُبدل همزة». اهـ. فاختر من هذه الآراء ما بدا لك حسناً وعلى كلٍ فان قلب القاف همزةً قديمٌ)

واماً اللثغة التي تقع في اللام فان من اهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله: «اعْتَلَلْتُ»: «اعْتَيَيْتُ» وبدل «جمل» «جَمَي». (وكذا قال في المزهر ١: ٢٧٠). وآخرون يجعلون اللام كافاً كالذي عرض لعُمَر أخي هلال فانهُ كان اذا اراد ان يقول: «ما العِلّة في هذا؟» قال: «ما الكِكّة في هذا»؟ (قلتُ: ومن الشواهد على ذلك في العربيّة: رجل مُضمئكٌ ومصمئل: اذا انتفخ من غضب. وفي ديوان الادب: زحك عنهُ وزحل: اذا تنحّى. وفي المجمل لابن فارس: المأفوك الضعيف الراي. والمأفول باللام ايضاً الضعيف الراي (١: ٢٦٤)

فاماً اللثغة التي تقع في الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام لان الذي يعرض لها اربعة احرف. فمنهم من اذا اراد ان يقول: «عمرٌو» قال: «عمي» فيجعل الراء ياء. ومنهم من اذا اراد ان يقول: «عمرٌو» قال: «عمغٌ» فيجعل الراء غيناً (قلتُ: ومن الشواهد اللغوية: غانت نفسُهُ تغين ورانت ترين: اذا غَثَت. وفي الجمهرة: الرَّمَص في العين والغمص واحد. يقال: غمصت عينُهُ اذا كثر فيها الرمص من ادامة البكاء. وفيها: غاية الخمّار رايتهُ. قال: وكان بعض اهل اللغة يقول: كل راية غاية. وفي الصحاح: الغاية الراية. وقال ابو عبيد في الغريب المصنَّف: غيت غايةً مثل رايةً. وأغْيَيْتُها: نصبتُها. وفيه: الغادة المرأة الناعمة اللينة. والرادة نحوهُ. وفي امالي ثعلب: رجل راد وغاد. وفي مختصر العين: الرمأزة الجارية الغمأزة (المزهر ١: ٢٦٥)

ومنهم من اذا اراد ان يقول « عمرٌو » قال: « عمذٌ » فيجعل الراء ذالًا (قلتُ: ومن ذلك ذَممَ الحرُّ ودِمهَ: اشتدَّ) . ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمةً فيقول اذا انشد هذا البيت:

واستبدّت « مرّةً » واحدةً انما العاجز من لا يستبد

قال: واستبدت « مظّةً » واحدة انما العاجز من لا يستبد

وامَّا اللثغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمان بن يزيد العدوي الشاعر فليس الى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التي تعرض للشين كنحو ما كان لمحمَّد ابن الحجَّاج كاتب داود بن محمد كاتب امّ جعفر فان تلك ايضًا ليس لها صورة في الخطّ تُرى بالعين وانَّما يصوّرها اللسان وتتأدّى الى السمع

وربَّما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين . كنحو لثغة شوشي صاحب عبد الله ابن خالد الاموي . فانهُ كان يجعل اللام ياء . والراء ياء . قال مرَّةً: « مَوْيايَ وَيِيَ أَيِيّ » يريد: « مولايَ وليّ الرَّيّ » واللثغة في الراء اذا كانت بالياء فهي احقرهنَّ واوضعهنَّ لذي المروءة . ثمَّ التي على الطاء ثم التي على الذال . فامَّا التي على الغين فهي ايسرهنَّ . ويقال ان صاحبها لو جهد نفسهُ جهدهُ واخذ لسانهُ وتكلَّف مخرج الراء على حقّها والافصاح بها لم يكن بعيدًا من ان تجيبهُ الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهُّد اثرًا حسنًا . وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلّم بالغَين وكان اذا شاء ان يقول: « عمروٌ لعمري » وما اشبه ذلك على الصحة قالهُ . ولكنَّهُ كان يستثقل التكلُّف والتهيّؤ لذلك . فقلتُ: اذا لم يكن المانع الَّا هذا العذر فلستُ اشكُّ انك لو احتملت هذا التكلُّف والتتبُّع شهرًا واحدًا لاستقام لسانك . امَّا مَن يعتريهِ اللثغ في الضاد ربَّما اعتراهُ ايضًا في الصاد والراء حتى اذا اراد ان يقول « مُضَر » قال « مُضَي » فهذا واشباههُ لاحقون بشوشي . . . وامَّا اللثغة في الراء فتكون بالياء والذال والغين وهي اقلُّها قبحًا واوجدها في ذوي الشرف وكبار الناس وبلغائهم واشرافهم وعلمائهم (قلتُ: وهي لثغة اهل باريس ومن نحا نحوهم من الفرنسيس . ولثغة اهل بغداد والموصل وخصوصًا في نصاراها لان المسلمين من البغادِدة لا يبدلون الراء غينًا . والنصارى وان كانوا يفعلون ذلك الَّا انهُ في طاقتهم ان يجتنبوها متى ارادوا) . وكانت لثغة محمَّد بن شبيب المتكلّم بالغين فاذا حمل على نفسهِ وقوَّم

لسانهُ اخرج الراء على الصحّة فتأتّى لهُ ذلك وكان يدع ذلك استثقالاً ». انتهى

هذا ولا تنتهي اللثغات الى هذا الحدّ بل هناك لثغات اخرى عديدة نضرب عن ذكرها توخيًا للايجاز وتنحيًا عن الاطناب المولد في النفس الاشمئزاز. ولله الحمد اولاً وآخرًا وباطنًا وظاهرًا

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

ما بقي في مكتبة دير مار شليطا من آثار العلاّمة الدويهي

بعد ان اتينا على ذكر بقايا هذا الدير لاق بنا ان ننتقل الى ما عثرنا عليهِ من مؤلفات العلاّمة الدويهي الخطيَّة في هذه المكتبة. وهذه المصنَّفات كتب المؤلف قسماً منهـا والبعض الآخر قد علّقت عليهِ يده الكريمة بعض اصلاحات وحواش فكانت من ثمَّ جديرة بالتفات الباحثين الذين سعوا بطبع بعض مؤلفاته ويرغبون في طبع ما تبقى منها

ومن الغريب ان هذه الكتب لا تاريخ لنسخها ولا ذكر لاسم الناسخ واكثرها خُطَّ في عصر المؤلف بدليل اصلاح اغلاطها بخطّ يده. فيظهر من ثمَّ انهُ كان يكتب المسودَّة بخطّ يدهِ كما ترى في مسودَّة التكريسات الموجودة في عين ورقــة والقسم الاوَّل من تاريخهِ (مارون والموارنة) في مكتبتنا دير الكريم ثم يدفع المسودَّة لكتّابه ثم يعيد النظر فيها ويصلحها ويزيد عليهـا بعض ايضاحات وشروح ثم يتهافت محبو الاطلاع على استنساخها في عصر لم تكن بعد دخلت فيهِ المطابع بلادنا

امَّا ما عثرنا عليهِ من كتابات الدويهي فهو دون ان يُذكر وقد نشرنا منهـا صورة كتاب انفذهُ لرئيس دير حراش والى القس حنَّا الرئيس الثالث على دير مار شليطا الذي سيم بعد اسقفاً كما سترى في ترجمتهِ (انظر المشرق ٥ : ٣٠٢) وبقي لدينا صورة حكمين لفصل خصومات رُفعت لديهِ والحكم الاوَّل ممهور بختم هذا البطريرك نقلناه بالرسم والآخر منقول عن الصورة الاصلية. ولنبدأ الآن بوصف حلى مؤلفـات الدويهي الخطيَّة ثم نتبعها بالحكمين اللذين اشرنا اليهما :

ان هذه الكتب هي اوَّلاً كتاب الاحتجاج عن الموارنة. ثانياً كتاب المنائر العشر.

ثالثًا كتاب في مؤلفي النوافير ܟܬ݂ܒ݂ܐ ܕܐܢܐܦܘܪ̈ܐ . رابعًا كتاب ܡܟܬܒ݂ܢܘܬ݂ ܙܒ̈ܢܐ وهو مجموع رتبنا القديمة

الاول كتاب الاحتجاج عن الموارنة . وهو الجزء الثالث من تاريخ علامتنا والضالة التي كان ينشدها طابع التاريخ الاستاذ الفاضل رشيد افندي الخوري الشرتوني (١ وقد توفق على ما بلغني الى الوقوف على نسخة منهُ (٢ ولعلهُ يسعى بطبع هذا الكتاب فيكسب ثناء عاطرًا ويضيف ذلك الى حسناتهِ في نشر مؤلفات هذا العلامة

الكتاب الثاني هو منارة الاقداس ولما كان هذا الكتاب الفريد في بابهِ قد عمّت افادته واطّلع عليهِ الجميع بعد ان سعى بطبعهِ طابع تاريخ علامتنا الاستاذ العامل رشيد افندي الشرتوني فلا حاجة هنا الى الاسترسال بوصف حلاه سوى ان نسخة دير مار شليطا فيها ما يستحق الذكر فان المجلد الاول من هذا الكتاب قد خطّت يد المؤلف الطاهرة قسمًا منهُ

الكتاب الثالث كتاب النوافير بالسريانية (ܟܬ݂ܒ݂ܐ ܕܐܢܐܦܘܪ̈ܐ) هذا الكتاب اشار اليهِ علامتنا في كتابه الى الاب بطرس مبارك (٣ وقد عدّد في مؤلفه « منارة الاقداس » النوافير السريانية المقبولة والغير المقبولة غير انهُ اراد ان يفرد لهذا الموضوع مؤلفًا خاصًا جمع فيهِ النوافير المشار اليها وصدّرها بترجمة مؤلفيها واورد صور التقديس المختلفة في كلٍ من هذه النوافير انتصارًا لمجد الطقوس السريانيّة وسلامتها مما عابها بهِ بعض جهلة الطقوس واللغة . وضمّ الى هذه النوافير نافور رسم الكاس وسينشر عن قِدَم استعمال هذا النافور الاخير العلامة كدرنغتون (H.W.Codrington) الذي زار ديرنا في ٢٩ نيسان سنة ١٩٠٢م مقالةً وافية . والكتاب بقطع النصف مجلّد تجليدًا متينًا وعدد صفحاته ٤٥٣ ولا تاريخ لنسخه وعليهِ حواشٍ بخطّ علامتنا مع بعض اصلاحات اعاد النظر فيها بعد تسليمهِ الكتاب للنساخ وفي جملتها مفكّرة بخطّ المؤلف عثرنا عليها في هذا الكتاب عدّد فيها بعض صور التقديس نقلًا عن النوافير المشار اليها وترى في اعلى هذه المفكرة خطًا من يدهِ باللاتينيّة . وعلى الصفحة الاولى

---

١) طالع تاريخ الطائفة المارونية (ص ٩)
٢) ومنهُ نسخة أُخرى في مكتبة الآباء اليسوعيين الشرقية بالكرشوني (ل . ش)
٣) طالع مقالتنا في المجلة (٥ : ٦٩٢)

من هذا الكتاب بخط عربي حديث « تأليف البطريرك اسطفان الدويهي » ثم يليه بالاحرف السريانيّة بالحبر الاحمر « كتاب النوافير السريانية المقدّسة » ثم فهرست هذه النوافير وهي: خمسة نوافير للرسل. سبعة للتلاميذ. ثلاثة للباباوات. ثلاثة لبطاركة القسطنطينيّة. ثلاثة لبطاركة الاسكندريّة. اربعة لبطاركة انطاكية. خمسة لرؤساء الكهنة (١. وقد اشار المجمع اللبناني المقدّس الى هذه النوافير واوجب ان يعترفها السيد البطريرك ويسنها لتذكارات مختلفة (٢. فحبذا لو خرج ما تمنّاهُ المجمع اللبناني الى حيّز العمل والآن لم يعد علينا مشقّة فقد كدّ الدويهي العلّامة وأغنانا عن عناء البحث وجمع لنا هذه الكنوز المقدّسة ونسخها النساخ تحت نظره واعاد النظر فيها باحثاً فيكون الكتاب والحالة هذه تركة ثمينة من مؤلفات الدويهي الخطّيّة

الكتاب الرابع ܟܬܒܐ ܕܡܦܩܢܐ عدّهُ الدويهي بين مؤلفاته في كتابه للاب بطرس مبارك كما تقدّم وقد جمع فيه رتبنا القديمة باللغة السريانية ومما نرجحهُ ان مؤلفه قسمهُ الى قسمين ضمّن الاوّل ما يتعلّق بتوزيع الاسرار (٣ واودع الثاني شبه السرّيّات كتبريك الماء يوم عيد الدنح الى غير ذلك. وهذا القسم الاخير وقع بين ايدينا لا الاوّل. وكان بودنا ان نأتي بهذه المناسبة على ذكر التقلبات التي جرت على رتبنا القديمة الى ان جمعها المطران يوسف اسطفان وطبعها المطران نتولا مراد في رومية الّا اننا ارجأنا البحث في هذا الشأن الى مقدمة ضافية الذيول نعلقها على كتاب الرتب عند سنوح الفرصة بتجديد طبعه. وكتاب علّامتنا الذي نحن بصدده باللغة السريانية وعدد صفحاته ٣٧٩ بقطع نصف بخط جميل وعلى هوامشه حواشٍ واصلاحات بقلم الدويهي. وعلى الصفحة الاولى منهُ بخط يده فهرست الرتب التي تضمّنها المجلّد. ويظهر ان الفهرس رقمهُ الدويهي بعد نسخ الكتاب بقصد اعادة نسخه ثانيةً طبقاً للترتيب والتنسيق الذي اتبعه في الفهرس لان سياق الرتب يختلف عن سياق الفهرس. مثال

١) طالع منارة الاقداس المجلد الثاني حيث يتكلم علّامتنا مليًّا عن هذه النوافير وعن نسبتها واقسامها

٢) راجع الباب الثالث عشر (الصفحة ٢٠٩ عدد ٥ من طبعة سنة ١٩٠٠)

٣) وهذا الكتاب سمّاهُ الدويهي اسرار البيعة (ܐܪ̈ܙܐ ܕܥܕܬܐ) واشار اليه في كتابه الى الاب بطرس مبارك (طالع مقالتنا في المجلة ٥: ٦٩٣)

ذلك انهُ صدر الفهرس برتبة تكريس البيعة الذي كان يصير عندنا قديمًا في الاحد الذي نحتفل فيهِ بتجديدها (ܠܚܘܕܬ ܥܕܬܐ ܕܗܘܐ ܚܕ ܒܫܒܐ ܕܩܘܕܫ ܥܕܬܐ) ثمَّ عيَّن بان هذه الرتبة هي محررة في الصفحة ܪܟܘ اي ٢٢٦ وكان حقها طبقًا للفهرس ان تكون في صدر الكتاب ثمَّ انك ترى على الصفحة الثانيـة عنوان الكتاب بالسريانيـة كما يلي : ܒܠܠ ܬܫܠܐ ܘܐܠܗܝܘܬܐ ܦܪܝܫܬܐ [ܥܡ ܟܠܗܘܢ ܘܣܒܐ ܕܟܗܢܘܬܐ] (١ ܡܢ ܟܬܒܐ ܘܡܟܬܒܢܐ ܘܡܢ ܥܬܝܩܐ : وفي الرتبة الاولى اي تبريك الماء يوم عيد الدنح مفكرة بخط علامتنا يختصر بهـا هذه الرتبة الطويلة جدًا ولمَّا كان المجمع اللبناني المقدَّس حتم بالمحافظة على الاصل السرياني عند طبع الكتب الطقسيَّة وان تُطبع بحقلين يودع احدهما الاصل السرياني والآخر العربي فتكون هذه النسخة واسطة لتحقيق ما أمر بهِ المجمع اذا جُدِّد طبع كتاب الرتب

هذا ما توصلنا اليهِ من بقايا هذه المكتبة الشهيرة سواء كان من حيث الكتب التي أُودعت فيها واحضرها اليها علَّامتنا او بما اضافه اليها من مؤلفاتهِ العديدة ولمَّا كان غبطة ابينا المبجَّل السيد السند ماري ايلياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية وسائر المشرق ممَّن يقدّرون العلم قدره وكان يخاف ان تغتال أيدي الضياع هذه المجلدات كما اغتالت غيرها فقد امر حارس المكتبة البطريركية حضرة الاب العالم العامل المشهور باطلاعهِ وتدقيقهِ الخوري بطرس شبلي ان يأتي بهـا ويودعها المكتبة البطريركية في بكركي فيتسنَّى للباحثين الاطلاع على ما يوافق غرضهم منها ادامهُ الله فخرًا للدين وللعلم



— امَّا صورة الحكمين اللذين اشرنا اليهما فها كما بحروفهما. الحكم الاوَّل باحرف سريانية تاريخهُ سنة ١٦٨٣ (٢

---

١) ما تراهُ بين معكفين هو بخط يد الدويهي زيد عليهِ بعد النسخ

٢) هذا الحكم الوجيز البسيط قدمتهُ عائلة بيت مبارك في عداد الاوراق التي اثبتت فيهـا حقوق الولاية لها على دير مار سركيس ريفون اذ ورد فيهِ ذكر الخوري يوسف مبارك رئيس دير ريفون كما ترى وهذا الرئيس رقاه الدويهي درجة الاسقفية وانتخبهُ الاساقفة بطريركًا لمَّا حكموا بتنزيل البطريرك عواد

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܣܟܢܐ

وجه تحرير الاحرف هو ان حضر قدامنا ابو سليمان عون من قرية جعيتا واندعى على الخوري سليمان خادم الضيعة بسبب الارض السليخ الذي (التي) تحت توت ابو حرفوش شقير انهُ بخششها لابنته زوجة حنا اخو الخوري وحضر ابراهيم ابن الخوري مخايل وشهد وتذمَّم انهُ هو ثمَّن الارض المذكورة قبلما تُنصب بقرشين وان المبلغ المذكور وصل لابو سليمان عون من صهرهِ حنا ومن اخوه الخوري بالتمام والكمال وانهما اشتركا في تعزيق (١) الارض المذكورة وفي نصبها ومنذ ثلاث سنين قسماها بينهما على رضى وقبول الفريقين في النصف. ثم حضر قدامنا ولدنا الخوري يوسف رئيس دير ريفون واستقرّ انهُ نزل الى الضيعة المذكورة وجمع الفلاحين وهم ابو عبد الله يوسف وابو مسعود واخيه وابو فرح سلامه وابو حرفوش شقير وشجعان القيم واولاد الشمرّي واولاد ابو خليفة وابو مطر سركيس وغيرهم من الحاضرين وسألهم عن الأرض المذكورة فشهدوا وتذمَّموا انها انباعت بالثمن المذكور وعلى موجب التثمين والشهادة المذكورة تكون الارض مُباعة ليس بخشيش وان القسمة بين الخوري وبين اخيه في النصف شركة لا غبن فيها ولا غدر والله اعلم بالصواب صح

حُرِّر في دير مار شليطا في خامس يوم من شهر آب المبارك سنة الف وستماية وثلاثة وثمانين مسيحية

امَّا الحكم الثاني فخرج من ديوان هذا البطريرك سنة ١٦٨٥ لفصل خصام ايضًا وهاكهُ بالحرف وجدتهُ بين اوراق الدير ولكن منقولًا عن النسخة الممهورة بختم الدويهي بخلاف الحكم الاوَّل فاني نقلتهُ عن النسخة الممهورة بالختم:

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܣܟܢܐ

وجه تحرير الاحرف هو انهُ صارت الخصومة بسبب ماء المنيل (٢) بين اصحاب الاراضي التي بقربها. اولًا حضر رئيس دير مار شليطا الذي هو متصرف بالبستان وقولهُ ان الامير عساف (٣) منذ الزمان القديم كان يأخذ الماء المذكورة لذلك البستان. وكذلك حضر رئيس دير مار عبدا هرهريا وذكر لنا ان بعد خراب البستان كانت تجرّ الماء الى ارض البراهشة (٤) وهي يومئذ في تصرفهم وبرهان ذلك من البراك التي في الارض المذكورة. وحضروا كذلك رهبان دير مار يوحنا حراش وقصدوا ان الماء تكون لهم لان نبعها في ارضهم فعلى موجب ذلك حكمنا ان الماء

١) عزّق الارض في اللغة شقّها وفي اصطلاح العامة نقّاها من الحصى
٢) محل في قرية وطا الجوز في جرود كسروان
٣) من امراء غزير
٤) عائلة من المتاولة

تنقسم مثالثة وكل واحد يأخذ لهُ عذان (١ في الاسوات (٢ من غير خصومة ويكون البدو من الارض الاقرب للماء واللّه اعلم بالصواب

تحريرًا في ١٥ من ايار سنة ١٦٨٥ مسيحية

فاعتبر دقَّة ضمير الدويهي وترويهُ وطول اناته ولا تعجب من تقريظ السلف والخلف لفضائلهِ. فانهُ مع اشغاله بالتآليف المهمة وسمو مداركه لم يكن ليأنف من التنازل الى اجابة طالب محكّميهِ وفصل امور ليست بذات بال عند كثيرين فقد صح بهِ ما قالهُ الكتاب: « انصفت البائس والمسكين » (البقيَّة لعدد آخر)

اصلاح بعض اغلاط طبعيَّة وقعت في مقالتنا عن دير مار شليطا ننبِّه القرَّاء اليها

(السنة الخامسة من المشرق) الصفحة ١٨٤ السطر ٩ « ١٧٠٢ » والصواب « ١٢٠٧ » — ١١ « مينا » ص « منيه » — س ٢٢ « فيتّوا » ص « فيتّنوا = ٢٦٩ س ٢٠ « زغير » ص « زغيب » — ٢١ « ابن غيروش » ص « ابن غبروش » = ٣٠٢ س ٥ « المفاوضة » ص « المقاوضة » — ٢٦ « الماروني » ص « الحقير » (راجع حاشية الصفحة ٥٥١) = ٣٠٣ س ٢٧ « الذي مضى على نبتهِ سنة » والصواب ان الفحلي النايظ من القصب = ٥٥١ س ٤ « والشيخ ابو نوفل الخ » هذا السطر من المتن حقهُ ان يكون في راس الصفحة تابعاً لقولهِ « في ايام سيدنا البطريرك الانطاكي » = ٥٥٣ س ١٨ « مجلَّات » ص « مجلَّدات » = ٥٥٦ س ١٢ « الحويشي » ص « الحوشي » = ٦٨٦ س ١٣ « البردوط سركيس محاسب » ص « المطران حنَّا محاسب رتبتهُ الثالث » = ٦٨٩ س ٦ « حنَّا » ص « حنَّة » = ٨٩٣ س ٢٦ « التيبي » ص « الشيبي » = ٨٩٥ س ٢٠-٢٤ وقع سهو من مرتب الحروف في هذه الحاشية بحيث لم يظهر التمييز بين فيلبُّس البكفاوي وفيلبُّس البطريرك

التجارة الالمانية في بلاد الدولة العلية

للشاب الاديب ميشل افندي سماحة

لقد زاحمت تجارة الالمان في بلادنا كل تجارة اجنبيَّة وراج في اسواقنا ما يرد الينا

١) من السريانية معناها ميقات او وقت
٢) أُسوة او بالمساواة

من بضائعهم ومصنوعاتهم وأخذت اعمالهم في بلادنا في المدة الاخيرة من الاهمية بمكان جليل حتى غدت اشغالهم تسابق اعظم الدول الاجنبيَّة

وقد زادت هذه الحركة التجاريَّة تقدُّماً ورواجاً بزيارة جلالة الامبراطور غليوم الذات الشاهانية وتجوُّله في بلاد الدولة العليَّة لانَّ جلالتهُ لم يكتفِ بان يمكّن بين الممالك المحروسة ومملكتهِ اواخي الحب ويوثق عرى التحالف والاخاء بل سعى ايضاً بان يسهل بيننا وبين شعبهِ طرق الصلات والمعاملات التجاريَّة بما يعود على كلتا الدولتين بالمنافع العظيمة والفوائد العميمة

لمحة تاريخية

سعى الالمان من مدة مديدة في توسيع نطاق تجارتهم في بلادنا ونقل بضائعهم ومصنوعاتهم الى اسواقنا فكان يحول دونهم بُعدنا عنهم وصعوبة طرق الاتّصال بيننا وبينهم وكان نهر الدانوب في مدة العصور القديمة طريق التجارة الوحيد المشهور بين الشرق والغرب وكانت ترد بضائعهم الى مدينة ڤينة التي كانت تلتئم فيها سوق التجارة الشرقيَّة حتى سنة ١٨٣٧ حينما اخذت شركة بواخر استرياهونغريا « اللويد » في تريستا تخالط الثغور الشرقية فتوجَّهت عند ذلك انظار التجار الالمان الى ذلك المرفإ ولكن سير الخط الحديدي الممتدّ من تريستا الى داخلية البلاد انقطع اتصالهُ الى سنة ١٨٥٧ فحطَّ الامر بركاب العمل وذهب باهميَّة التجارة الالمانية

فكان ذلك وكانت تردنا بعض الاحيان بضائع الالمان مع بواخر مختلفة من شركات افرنسيَّة وايطالية حتى أُنشئت سكة حديد ڤينة الى سالونيك في ١٩ ايار سنة ١٨٨٨ ثم اتت بعدها سكة حديد الشرق اعني خط ڤينة الى الاستانة العلية فتعلَّقت عندئذٍ امال الالمان برواج الاشغال وعدّوا ذلك تسهيلاً عظيماً للاعمال التجاريَّة بيننا وبينهم غير ان خطَّ الشرق لم يحقق آمالهم ولم يقم بخدمة التجارة حسب رغائبهم وذلك من جراء ارتفاع اجور النقل على البضائع فصار خطّ الشرق لا ينقل في الغالب الّا الركاب والبريد

وكأن الالمان قد تضايقوا من عسر الاحوال سيَّما وان تجارتهم في بلادنا اخذت بالنمو والاتساع فعرفوا ان لتسهيل طرق التجارة وانتظام المواصلات والاشغال بيننا

وبينهم لا بدَّ لهم من تأليف ملاحة بحريَّة خصيصة بالنقل والتواصل المستمرّ بين بلادهم وثغورنا فانشأوا لذلك في سنة ١٨٩٠ شركة بحريَّة تدعى -Deutsche Levante) (Linie تعدَّدت بواخرها اخيرًا فاربت على العشرين صُنع اهمُّها في معامل المانية ويبلغ محمولها ستين الفًا واربعمائة طن والباخرة منها تقوم من مرفإ همبورج الى بلادنا كل عشرين يومًا وتمرّ بنا باخرة أُخرى كل اسبوع تقوم من مرفإ انفرس وهي ايضًا من بواخر هذه الشركة التي قد فازت بعضد وتساهل ادارة سكة حديد الحكومة الالمانية بتخفيف اجور النقل تخصيصًا لنجاحها وخدمة للتجارة فكان بذلك ما نراه الآن من الانتظام بالاشتغال وانتعاش روح التجارة الالمانية في بلادنا وحصولها على تمام المأمول

الواردات والصادرات

(الوارد) لا تفتر دولتنا العلية لحظةً من الزمن من تعزيز قوتها الحربية وكل يوم نطالع في جرائدنا المحلية وجرائد الاستانة عن العُدَد والتجهيزات التي تستحضرها المعامل الحربية في الاستانة من الاسلحة وخلافها وما تستورده الدولة العلية من الخارج من مصانع المانية خصوصًا من المعدَّات الحربية (نحو مئة مليون فرنك في السنة) ومن ادوات السكك الحديديَّة وما تنفقهُ من الاموال لعمران البلاد سواء كان في احياء معالم الصناعة او تسهيلًا لاعمال التجارة

فبلغ ما دفعناهُ الى مصانع المانية في المدة الاخيرة عن ثمن ادوات سكك حديدية ما يوازي اربعة وعشرين مليون مارك ونصف تقريبًا وذلك عن الخطوط الآتية : ثمانية ملايين مارك ثمن ادوات سكة آسية الصغرى (Ismid - Angora) التي أُنشئت سنة ١٨٩٠ ومليونين ونصف مليون مارك عن سكة حديد مقدونية (خط سالونيك الى مونستير) التي أُنشئت سنة ١٨٩١ وثلاثة عشر مليونًا ونصف مليون مارك تقريبًا عن سكة حديد اسكيشهر الى قونية (Eskichehir - Konia) التي أُنشئت سنة ١٨٩٣ ونصف مليون مارك بنيِّف عن ادوات خطّ سالونيك الى الاستانة

هذا ونستجلب كثيرًا من مصنوعات ومنسوجات الالمان على اختلاف انواعها فمن بضائعهم القطنية قد راج عمومًا في اسواقنا وكذلك الاصواف والطرابيش والخيوط والاقمشة بانواعها والحرائر والمنسوجات الحريريَّة والاجواخ والبياضات باشكالها

ثم يلي ذلك المصنوعات الحديديَّة والخردوات بعمومها حتى ادقِّها بصناعاتها الجمّة كما ان عطارة المانية وادويتها ودهوناتها واصباغها قد حازت عندنا احسن اقبال وبلغ ما يرد الى بلادنا من بلاد الالمان منها ما ينيف عن نصف ما يرد من خلاف جهات العالم. واذا أضيف الى ما تقدَّم الجلود والسختيان والكرتون والعطورات والجعة (البيرا) والورق والخزفيَّات والصينيّ واشياء كثيرة خلافها تحقَّقتَ ما للتجارة الالمانيَّة من النجاح والترقي في اصقاعنا

(الصادر) يهمّ اغلب تجار بلادنا ان يصدروا الى الخارج من محاصيل ارضنا واغلالها فيرسلون الى جهات مختلفة ما لا وجود لهُ هنالك او ما يساعدهم عليه رواج الحال والاقبال وقد امَّ بلادنا تجَّار المان واقاموا بيننا يسعون في ترويج تجارة بلادهم بيننا فيستجلبون من بضائعها الى هذه الانحاء. كما أنهم يتوسَّطون ايضاً بيننا وبين مواطنيهم لنقل محصولات بلادنا الى المانيــة. وقد اصاب المتصدر من بلادنا الى بلاد الالمان نجاحاً عظيماً نراهُ آخذاً بالازدياد في المدة الاخيرة وذلك لما لاقوه من تسهيل اعمال النقل

فمن المتصدرات من عندنا الى المانية اشياء كثيرة متنوعة منها بعض مواد غذائيَّة ليست من حاصلات تلك الاصقاع او لقلَّة وجودها هنالك كالجوز والبندق والفستق والتمر والصمغ البلدي والافيون والزبيب والتين والبلح والزيتون والزيت والنبيذ والتبغ ولفائف الدخان ونوى المشمش والقماردين والبرتقال والليمون الحامض ومحّ البيض وزلاله. ويتصدر ايضاً من المولود الحيواني جلود الخرفان والماعز وجلود الحيوانات البريَّة وصوف الغنم والعظام ومن انواع المعادن الكرُوم (chrome) والسنابذج والحُمَر وملح الصبّاغ وخلافها ومن الحاصلات الزراعية السمسم وعرق السوس والشعير والشوفان والقمح والقنب الى غير ذلك ممَّا لا يقع تحت الحصر

المشروعات وخلاصة ما يقال

ولم تقم صلاتنا مع الالمان على ما تقدَّم من نوعي الصناعة والتجارة فقد عُقدت بيننا وبينهم شركات مالية متنوعة مساهمة ذات رساميل عظيمة وهي تشترك معنا بما يعود لصوالح بلادنا اخصّها الخطوط الحديديَّة وقد شاهدنا الماليين الالمان اخيرًا في

اولية المقبلين على المشترى من اسهم مشروعاتنا لما قد تحققوهُ من نجاح مستقبلها.
ويؤخذ من تقرير رسمي صادر مؤخرًا من ادارة الخارجيَّة البحريَّة الالمانية أنهم يقدّرون بمائتين وخمسة وعشرين مليون مارك قيمة ما يشاركنا فيه الالمان في مشروعاتنا خصوصًا باسهم اعمال سككنا الحديديَّة في تركية اوربَّة وآسية الصغرى. ومعلوم انَّ الشركة التي نالت امتياز خط بغداد الكبير انَّما هي شركة خطوط الاناضول وهي المانيَّة

وقد جاء تعيين بعض الضباط الالمان في خدمة الجيش العثماني مساعدًا لنمو التجارة الالمانية وكذا قل عن المهندسين بالخطوط الحديديَّة. وممَّا زاد في تحسين الصلات بين بلادنا والمانية البعثات العلمية التي قام بها نخبة من العلماء والسيَّاح فحضروا اوطاننا وتجوَّلوا بيننا ودرسوا اخلاقنا وعوائدنا وعرفوا حاجاتنا فنشروا عنها في بلادهم المقالات المستجادة فتنبَّه لها التجار الالمان وكان لها عندهم نتائج حسنة للتجارة. وأضف على ما تقدَّم انَّ لالمانية مستعمرات زراعية في سواحل بلادنا كحيفا ويافا يسعى اصحابها في الفلاحة وزراعة الكروم والاشجار المثمرة أصابت محصولاتها نجاحًا كبيرًا. فانَّ مستعمرة يافا مثلًا تُصدر في السنة نحو ٧٠٠٠ هكتولتر من الخمر وقس عليهِ الباقي

وخلاصة ما يقال ان التجارة الالمانية على تقدُّم واتساع عظيمين ما بين صادرات من بلادنا الى بلادهم وواردات من بلادهم الى بلادنا. وكما نرى من ميل الالمان الينا كذلك رأيناهم سعوا سعيًا حميدًا في التقرب من الدولة العلية لاحراز صداقتها واكتساب مودَّتها. ولا تزال الامتان تسعيان لما يعود لصالح العباد وانتفاع البلاد وفقهما الله تعالى بمنِّهِ وكرمهِ

الضيافة عند العرب

رواية معرَّبة بقلم الاديب س. ص.

اطَّلعنا في العدد الاخير من النشرة التونسيَّة على خبر رواهُ احد وكلاء الدعاوي في تونس احببنا اثباتهُ هنا ليرى القرَّاء انَّ ما نُقل عن جود اهل البادية وعن تفانيهم في

اكرام الضيف وتأهيل الغريب في القرون الغابرة قد توارثهُ العرب المحدثون كخلافة شريفة يبذلون دونها نفسهم ونفيسهم ويتناخون بها مردّدين قول الشاعر:

الله يعلمُ انَّهُ ما سرَّني شيء كطارقة الضيوف النزَّلِ
ما زلتُ بالترحيب حتَّى خلتني ضيفاً لهُ والضيفَ ربَّ المنزلِ

*

قال الراوي: دعتني واجبات مهنتي في اوسط شهر آب سنة ١٨٩٣ الى بلدة تُدعى زاوية المعيصرة شمالي «قربة» في انحاء راس الدار (Cap-Bon). فعقدتُ فيها جلسة لاستنطاق بعض الجُناة ثمَّ اتَّخذتُ لي دليلاً من عرب الناحية نحو الساعة الثانية بعد الظهر ليسير بي الى «نابل» قبل ورود الليل. وما كنتُ لأباشر سيرًا كهذا في فصل القيظ لولا اني رأيتُ اديم السماء قد غطَّتهُ السُّحب فاطّفت ودانق الحرَّ

فلمَّا صرنا على مسافة بعض اميال من «قربة» اكفهرَّ الجوُّ وومض البرق الخاطف للابصار وعصفت الريح فثار من الارض عجاج كحل العيون بذرَّاته ولم يلبث قصيف الرعد أن دوى ومزَّق اديم الزرقاء واجرى الامطار كالسيل المدرار فصارت ثيابي بعد قليل كعصير الماء. الَّا انَّ رفيقي صاح بي قائلاً:

«بارك الله فيك سيّدي فانَّ سفرك ليمون. دونك المطر غسَّال البيدر. ولكن لا سبيل الى مواصلة السير فهيَّا بنا نحلُّ في هذا الدوَّار على شمالنا في جانب الطريق»

فاذعنتُ لقول دليلي وركضتُ جوادي الى حيث اشار. فلمَّا اقتربنا من المكان هرَّت في وجهنا الكلاب وكادت تهجم علينا واذا برجل من اهل الدوَّار خرج فتقدَّم الينا. فابتدرهُ رفيقي بالسلام وقال:

بشراك يا شيخ احمد هوذا السيّد ب. وعبدك اتيناك طالبَين ضيافتك فنسكن عندك ريثما يأذن الله في رُكود الريح وهدوّ العاصفة

— بارك الله فيك وفي السيّد القادم

منزلنا رحبٌ لمن زارهُ نحنُ سواء فيهِ والطارقُ

قال هذا وامسك المطايا لنترجَّل عنها ثم سلَّم الخيل لولدٍ وادخلنا دارهُ وهم يدعون الدار جربة (قربي gourbi) وكانت مفروشةً بحصير من الحلفاء فاجلسنا في صحنها واكرم مثوانا ثم خرج بعد حين مستأذنًا بالذهاب طالبًا ان ننتظرهُ

وكان الصوت صراخاً فاجماً مستطيلاً طرحته امرأة في بطن الليل الداجي ثم اردفت الكلاب من بعده فصخبت صخباً شديداً وملأت الحي نبحاً

فوثبنا ثلاثتنا الى الجربة لنرى ما الخبر واذا باصوات البكاء والعويل تتوالى فتتقرَّب الينا وفي جملتها ولولة النساء لا تخمد من حين الى آخر حتى يسمع هتاف افظع من الصراخ الاوَّل كان يجمد لهُ الدم في العروق ،

وكنَّا نحن على باب الجربة ينظر بعضنا الى البعض نظر المتحيّر الدهش لا ندري ما الداعي لهذه اصوات الويل والثبور اذ تراءى لنا نور مشمل ضئيل فميّزنا في ضوئهِ جنازةً يحملها نفرٌ وكان على الجنازة جثّة هامدة لم نلبث ان عرفناها واذا هي جثّة عليّ ذاك الشاب ذي البهاء والجمال الذي راقنا منظرهُ في اصيل النهار

وكانت علّة موتهِ انهُ لمَّا عاد من الدوَّار حيث ارسلهُ ابوهُ لطلب الملح عثرت رجل فرسهِ في دجى الليل فوقع الراكب من ظهرها وصدم راسهُ بصخرة في الطريق فمات موتاً وحياً . فلمَّا استطال اهلهُ عودتهُ ارسلوا قوماً يستطلعون اخبارهُ فوجدوهُ صريعاً بين الصخور

وبينما كان حملة النعش يحطّون بجسم الميت كان الشيخ احمد ينظر الى ابنهِ نظرة ابٍ فُجع بفلذة اكبادهِ ومظنَّة آمالهِ . وانا سبب موت الغلام على غير اختياري بل رغماً منّي كنت بقربهِ واقفاً واجماً لا ابدي حراكاً كأنَّ صاعقة انقضَّت عليَّ ففاجت جسمي . امَّا الدليل رفيقي فكان يسرّح بصرهُ بين الوالد المسكين وبيني لا يدري ما يقول او يفعل

فمُدَّ الميت في زاوية من الجربة وكان فوهُ منفتحاً كانهُ يريد التكلُّم . فاشار الشيخ الى النسوة ان : اكففن عن العويل . فسكتنَ للحال وخرجنَ مطرقات صامتات

عندئذٍ دعانا ضيفُنا ودعا معنا كل الحضور لندخل المنزل . فجلسنا حولهُ لا ننبس بكلمة . وكان كلٌ منَّا يجيل في فكرهِ حوادث ذاك النهار المشؤوم وكانت كل اصوات الخارج قد هدأت ثانيةً الَّا قطرات ماء المطر كانت تُسمَع بقبقتها عند سقوطها في اجران الماء تحسب صوتها في هدوّ الليل الدامس كصوت الموت

وبقينا كذلك مدَّةً غائصين في بحر الغمّ اذ لحنا الشيخ احمد فرأيناهُ مسح وجههُ ولحيتهُ بيديهِ قائلاً : « الله اكبر انهُ وحدهُ ازليّ لا يموت » ثم التفت الى احد الحضور

فسألهُ: وهل أتى بالملح. فقام رهط من الجلوس ودسّوا جثّة الميت فوجدوا لفافةً فيها الملح. فوجّه الشيخ الكلام نحوي قائلاً: «سيّدي انَّ ولدي اتاك بالملح فقم بلا تكلُّف وشرّفني باكل طعامي». ثمّ اراد ان ينشّطنا على الاكل فاخذ دُبلةً من الكبكس وادخلها فاهُ وقال للجلوس: «هيّا باسم الله يا اسيادي كلوا»

فلمّا رأيتُ هذا الجلد وسمعت هذا الكلام عمل فيَّ منظر الشيخ عملاً لا يوصف فاندفعت ابكي وعلا صوت نحيبي. ثم خرجت من الدوّار وحدي رغماً عن العاصفة واهوال الليل وقفر المكان لا اعي. فقام الشيخ مع الحضور ليرقفوني ويردّوني الى المنزل الّا انّي لم أُعِرهم سمعي ولم انكص على الاعقاب لتوسّلاتهم والحاحهم بل سرتُ هائماً في وجهي الى ما شاء الله

بحث جغرافي

في سيرة القديس مارون الناسك

للاب هنري لامنس اليسوعي (تتمَّة)

٦

اثبتنا في ما سبق انَّ القديس مارون عاش وتوفّي في القورسيَّة. وفيها دُفن ايضاً ليس بعيداً عن مكان وفاته. وذلك واضحٌ لمن اعتبر قول توادوريطس. وقد ادّى بنا من جهة أُخرى مجال البحث في الفصل السابق الى ان نجعل دير القديس مارون قريباً من افامية اعني على مسافة نحو مئة كيلومتر جنوبياً من قورس. وكأنّي بالقارئ يستغرب الامر ويجد في تعيين موقع هذا الدير خارجاً عن القورسيَّة بعض التناقض ويشك في صحة النتائج التي استنتجناها

كلّا لا تناقض في ما قلنا. وان يكن في الامر مشكل. وانّما المشكل اعظم واقوى اذا ما جعلنا موقع دير القديس مارون في جهات حمص

اعلم انَّهُ لا يُعرف نصٌّ واحد يذكر صريحاً انَّ جسم القديس مارون دُفن في افامية. بل في قول توادوريطس ما هو عكس ذلك. وانّما يثبت التقليد انَّ راس الناسك القديس بعد خراب ديره القريب من افامية نُقل الى لبنان

امَّا ذخائر القديس فلا نعلم أ نُقلت ايضًا بعد وفاته ببضع سنوات الى جهات افامية ام لا وان كان الامر محتملًا ولعلَّ الباحثين يجدون حلًّا لهذا المشكل في التفاصيل التاريخية النادرة التي كُتبت عن اديار افامية ونواحيها

وكانت هذه الاديار كثيرة قد ذكر منها توادوريطس في رسالته الـ ١١٩ ديرًا «موقعهُ على ثلاثة اميال من افامية» طلب ان يعتزل فيهِ وهو يسميهِ ديرهُ كانهُ عاش فيهِ العيشة الرهبانيَّة (١

ونعرف فضلًا عن هذا الدير قرب افامية ديرًا آخر شهيرًا وهو دير مار بسُّوس (٢ الذي نشر عنهُ الخوري شابو كتابًا موسَّعًا (٣ وممَّا ورد في اثنائه انَّ عدد رهبانهِ بلغ ٦٣٠٠ راهب (ص ٦١). الَّا ان صاحب هذا الكتاب قد وهم بقولهِ انَّ هذا الدير كان في بلاد حمص او قريبًا من هذه المدينة (٤ والصواب انَّ دير مار بسُّوس كان بجوار افامية. وفي ما سبق اشرنا الى هذا الغلط وسببهِ ولا نخال انَّ الكتبة خلطوا بين دير مار بسُّوس ودير مار مارون لوقوع كلا الديرين في جوار افامية. والدليل عليه انَّ للديرين اسمًا مختلفًا فضلًا عن انَّ دير مار بسُّوس اضحى بعد قليل مركزًا للبدعة اليعقوبيَّة (٥

فوجود عدد وافر من الاديار في نواحي افامية برهان جديد على ما كان لتلك الناسك من المقام الرفيع والشهرة الذائعة ولا حرج بعد ذلك ان نسلّم بصحّة ما رواه الرواة عن خطر دير القديس مارون وعظم شأنه

وممَّا اخبر بهِ توادوريطس ايضًا انَّ القديس الناسك مرقيان القورسي ارسل واحدًا من تلاميذه اسمهُ اغابيتس فوكل اليهِ بان يعتني بادرة عديدة بقرب افامية وبالاخص عند نقيرتا (Νικερτα) «وهي بلدة واسعة كثيرة السكّان ابتنى فيها اغابيتس معهدين

١) انَّ توادوريطس كان راهبًا الى سنة كهنوته فدخل في جملة اكليرس انطاكية

٢) راجع كتاب العلّامة روبنس دوڤال في الاداب السريانية (ص ٣٥٢) والمجلة الشرقيَّة الالمانيَّة ZDMG, XXX 217

٣) راجع J.-B. Chabot : *La légende de St Bassus et son couvent à Apamée*, 1893.

٤) قد جاء في مجلَّة الشرق المسيحي ذكر دير ثالث في افامية (ROC. p. 1002, 611.)

٥) راجع ايضًا مقدَّمة الخوري شابو (ص ٥ و ٩)

لتعليم الحكمة السموية دُعي الواحد باسمه. وجمع فيهما فوق المئتي راهب تجنَّدوا للفضيلة ولازموا التُّقى (١)». وقد ورد اسم نقيرتا هذه في كتابتين يونانيَّتين تراهما في مجموع الكتابات اليونانيَّة (٢ تحت العددين ٩٨٥٥ و ٩٨٧٧ وفي جدول المخطوطات السريانية المصونة في المتحف البريطاني (Wright, *Cat.* 756. c. 2) اسم رئيس تولَّى رئاسة دير نقيرتا. امَّا نقيرتا المذكورة فليس لدينا نصٌّ صريح يفيدنا عن موقعها بالتدقيق في جوار افامية لقلَّة ما نعلم من امور تلك الناحية (٣

ولعلَّ سائلاً يطلب او ليس دير القديس مارون احد الاديار التي ابتناها القديس اغابيتوس في جوار افامية ؟ اجبنا انَّ هذا لرأي سبقنا اليه حضرة الاب جوليان اليسوعيّ في كتابه عن « جبل سينا وسوريَّة (٤ » ولا نرى داعيًا لانكاره اذ انَّ درس الامكنة ومواقعها لا يخالف هذا المذهب ولهُ سندٌ في التاريخ لانَّ وفاة القديس اغابيتوس وقعت بعد وفاة القديس مارون. على انَّنا لا نوافق حضرة الاب جوليان في زعمهِ بان « دير القديس مارون كان بين افامية وحمص على ضفَّة العاصي ليس بعيدًا عن حمص في المكان المعروف اليوم بالدير الكبير (٥ »

قد مضى علينا نحو ثلاث سنوات مذ زرنا قرية الدير الكبير الواقعة على مسافة ساعة ونصف من حمص في شمالها الغربيّ على ضفَّة العاصي الغربيَّة ووجدنا فيها آثارًا قديمة. بيد انَّ نظرها لم يُعدل بنا عن رأينا وفي حجتنا السابقة ما هو كافٍ لبيانهِ. وعندنا انَّ حضرة الاب جوليان خُدع بما كتبهُ المؤرخ الشهير صاحب حماة الملك المؤيد ابو الفداء. وهو يجعل الدير في حمص نفسها. ثم غرَّهُ ايضًا اسم « الدير الكبير » الَّا انَّ سالنامة ولاية سوريَّة روت اسم هذه القرية على صورة اخرى فدعتها « الدار الكبير » ولعلَّ الصواب « الظهر (الضهر) الكبير » كما سمعناهُ او فهمناهُ من اهل القرية. وهذا الاسم يوافق المسمَّى لانَّ القرية على ظهر ربوة

١) أُراجع تاريخ الرهبان في مجموع مين (ج ٨٢ ص ١١٢٨)

٢) CIG, 9855 et 9877

٣) طالع ما كتبهُ في هذا الصدد الاستاذ هرتمان (ZDPV, XXIII, 145)

٤) Jullien: *Sinaï et Syrie*, p. 178

٥) فيه صفحة ١٧٨

وقد ذهب الاب مرتينوس اليسوعي في تاريخه المخطوط عن لبنان الى راي آخر نسلفت اليه نظر القارئ. قال المؤلف المذكور الذي وقف كل حياته على البحث عن لبنان وتاريخه: « لا يبعد ان القديس ماري (Marès) الراهب القس في ناحية افامية الذي وجّه اليه القديس يوحنا فم الذهب رسالة (١ هو القديس مارون عينهُ (٢. لان الاسمين ماري ومارون لا يختلفان عند كتبة اليونان في سورية وليس ماري سوى مارون مع اختلاف حركة الاعراب في اليونانية فشاع هذا الاسم في الناحية. اما تلقيبهُ بالقديس فقد جرى على ذلك رهبانهُ تبجيلًا لهُ فاقتدى بهم فم الذهب

« ومثالنا في ذلك مثال ديرين آخرين في جهات افامية عُرف الواحد منهما باسم القديس سمعان والآخر باسم القديس اغابيتوس (٣ وتؤيد هذا الراي المخالف للراي العمومي رواية تاودوريطس في تاريخه (٤ الذي يفيدنا ان جمهور الرهبان الذين اتوا من القورسية الى بلاد افامية لينشئوا فيها الاديار كانوا تلامذة للقديس الناسك مارقيان ليس تلامذة القديس مارون لان المؤرخ المذكور افادنا انهُ لم يخرج احد من رهبان القديس مارون من بلاد قورس (٥. ولا يبعد ان تلاميذ القديس مارقيان وكان اصلهم من بلاد قورس (٦ دعوا احد الاديرة التي شيّدوها في بلاد افامية باسم القديس مارون لاكرامه إلّا ان كلام تاودوريطس صريح في القديس مارقيان حيث قال: « ومارقيان الالهي هو الذي انشأ كل اديرة بلاد افامية (٧ » فلا يمكن اذن ان ينسب انشاء احد هذه الاديرة لتلامذة القديس مارون. . . ومن ثمَّ لا نستغرب القول بان ماري الذي اوفد اليه القديس يوحنا فم الذهب برسالته كاحد رؤساء الدير مع القديس سمعان (٨ هو منشئ الدير وان عُرف باسمه اولًا دير القديس مارون. هذا ونقرّ ان الافادات التاريخية في هذا الخصوص لخلّة جدًّا. ومن المحتمل انهم لم يميّزوا

١) هي الرسالة ٥٧ وهي غير رسالته الى مارون الكاهن

٢) هذا زعم لا يمكننا التسليم به اذ ان فم الذهب يثبت في هذه الرسالة ان ماري عاش في مقاطعة افامية خلافًا لما نعرفهُ عن القديس مارون

٣) راجع تاودوريطس في تاريخه المذكور (ج ٨٣ ص ١١٢٨)

٤) في المجلد والصفحة عينها

٥) راجع تاريخ الرهبان (ع ١٦ و ٢٥)

٦) او على الاقل كارام الذين شيّدوا الاديرة

٧) تاريخ الرهبان (ع ٣)

٨) راجع رسالة القديس يوحنا فم الذهب الـ ٥٥

بين القديس مارون والقديس مارقيان الذي ورد مكتوبًا في بعض النسخ ماريان (١ »
هذا ما رواهُ الاب مرتينوس في تاريخهِ وهو زعم نوردهُ على علاَّتهِ دون ان نحكم فيهِ (٢. وما يزيدهُ بعض الرجوح شهرة القديس مارقيان فان اسم هذا القديس كان ذائعًا مستفيضًا حتى انَّ معاصريهِ شيَّدوا بيعةً على اسمهِ قبل وفاتهِ أفيستغرب احد ان يكون رهبانهُ حاولوا بعد مجيئهم من بلاد قورس الى انحاء افامية ان يخلّدوا ذكرهُ بابتناء دير على اسمهِ . وعلى كل حال لو صحَّ هذا الراي لفُضَّ المشكل الذي نحن بصددهِ ويظهر لكل العيان كيف دُعي احد اديرة افامية باسم القديس مارون الذي توفّي في القورسيَّة . وما لا شبهة فيهِ انَّ في السنين الاولى من القرن السادس كان الدير المذكور لا يُنسب الى غير القديس مارون وان افترضنا انَّ رهبان الدير حصلوا على قسم من ذخائر القديس مارون او على جسمهِ الطاهر كلّهِ فلا عجب ان يكون التعبُّد للقديس امتدَّ الى كل جهات بلاد الشام

امَّا ما حدث بعد ذلك لدير القديس مارون فانَّ ابا الفداء يعلمنا في كتاب تقويم البلدان (ص ١١٤) انَّ الملك مرقيان وسَّعهُ في السنة الثانية لملكهِ اعني سنة ٤٥٢. ولمَّا تحامل اليعاقبة على ابنيتهِ فاخربوها (٣ في اوائل القرن السادس اعاد بناءهُ الملك يوسطنيان الكبير (٤ الذي ضبط زمام الملك من سنة ٥٢٧ الى ٥٦٥

وقد اخبر سعيد بن بطريق في تاريخهِ انَّ هرقل الملك تفقَّد هذا الدير سنة ٦٢٨ لمَّا رحل ظافرًا الى سوريَّة فاوقف عليهِ اوقافًا عديدة (٥. وفي عهد هذا الملك جرت بين اليعاقبة ورهبان دير مار مارون مخاصمات ذكرها ابن العبري في تاريخهِ الكنسي وقال ايضًا ان الموارنة اخذوا من اخصامهم عدَّة كنائس أبى هرقل ان تُردَّ الى اليعاقبة (٦. ولم يزل هذا الدير زاهرًا في سنة ٧٤٥ كما ورد في نصّ سرياني نشر الخوري نو ترجمتهُ بالفرنسيَّة (٧

---

١) راجع تاريخ الاب مرتينوس الصفحة ٢٢٢٨ و ٢٢٢٩
٢) الَّا زعمهُ بان ماري ومارون اسم واحد فاننَّا لا نسلّم بهِ .
٣) وقيل انهُ خرب بزلزال
٤) راجع كتاب بروكوبيوس في الابنية (ك ٤ ف ٩)
٥) راجع اعمال آباء اليونان لمين (PPGG, CXI, 1089) وراجع الصفحة ١٣٩ من نسخة تاريخ ابن بطريق الخطيَّة المصونة في مكتبتنا الشرقيَّة في ظهر الصفحة
٦) Chronicon Eccl. I, 270-274
٧) Bulletin de S. Louis des Maronites, Janvier 1903 p. 346

والمظنون انَّ خراب هذا الدير تمَّ في القرن التاسع فاضطرَّ رهبانهُ ان يأتوا الى لبنان مع سكَّان الناحية المجاورة لهُ. وفي قول المسعودي الذي اوردناهُ سابقاً انَّ دير القديس مارون كانت اغتالتهُ في عهدهِ (اعني في اواسط القرن العاشر) يد الزمان فخرب. ثمَّ لا تعود ترى لهُ من بعد ذلك اثرًا في التاريخ حتى انَّ ياقوت الرومي لم يذكرهُ في معجم البلدان مع انهُ افاض في وصف اديرة كثيرة اشتهرت في بلاد الشام منها خربة ومنها مأهولة بالرهبان. وكذلك تصفَّحنا تآليف جغرافيي العرب المتعدّدة لعلَّنا نجد شيئاً عن دير القديس مارون فذهبت مساعينا سدًى ولم نقف على ضالَّتنا مع انَّ هؤلاء الكتبة كرَّروا مرارًا اسماء الاديار الشاميَّة ورووا من ابيات الشعراء ما ورد فيهِ ذكرها

وهذا لعمري من الامور الغريبة انَّ ديرًا طار اسمهُ في البلاد مدَّة القرنين السادس والسابع فاصاب من الشهرة ما اصاب في تاريخ سوريَّة الديني يصبح بعد مجدهِ نسياً منسياً لاسيَّما انَّ دير القديس مارون لم يكن ديرًا منقطعاً لا نفوذ لهُ بل كان يدخل تحت حكمهِ اديار أُخرى تعرف لهُ حقوق السيادة كما كان شأن الاديرة في سوريَّة الشماليَّة وسوريَّة الوسطى فانَّ اديرتها الرهبانيَّة كانت ترتبط بين بعضها بروابط متينة بحيث تكون السيطرة لدير اعظم تخضع لرئاستهِ بقيَّة الاديار المجاورة لهُ (١). وهو امرٌ يصدق في دير القديس مارون الذي امتدَّت رئاستهُ على سائر اديار سوريَّة الثانية. غير انَّهُ يعزُّ علينا ان نبيّن حدود هذه الرئاسة وسعة نطاقها. فلا نعلم أكانت هذه الرئاسة شرفيَّة محضاً او كان لرئيس الدير الكبير بعض السلطة على بقيَّة الاديرة. كما انهُ يصعب علينا ان نبيّن اصل هذه السلطة فلا ندري أكانت ناتجة عن تفرُّع دير من آخر او بارادة منشئ الاديرة او بخروج مستعمرة رهبانيَّة من الدير الاكبر فكل هذه المباحث عويصة لا يُستطاع حلّها سهلاً

وعلى كل حال ان تقدُّم دير مار مارون ورئاستهُ على بقيَّة الاديار لمن الامور الحريَّة بالاعتبار فانَّ ذلك يبيّن لنا كيف امتدَّت سريعاً الطائفة المارونية ليس فقط في بلاد افامية لكن في الايالات الخارجة عنها ايضاً. وعلى راينا انَّ كل دير من هذه الاديار

١) راجع ما كتبهُ في ذلك العلَّامة نلدكه (ZDMG, 1875 p. 423, note)

المنوطة بدير القديس مارون اضحى بعد مدّة مركزًا لفئة من المؤمنين الذين نموا عددًا بعد حين وانتسبوا الى القديس مارون. وفي مقالتنا السابقة عن انتشار الموارنة رأينا كيف خرج منهم فئات دخلوا لبنان واستعمروا الجهات الموافقة لنموّهم وازديادهم

فيرى القارئ انّ هذا البحث الجغرافي عن سيرة القديس مارون يرتبط بالبحث السابق اعني اصل الطائفة المارونية وكيفيّة انتشارها. وهذا ما حملنا على التدقيق في تعريف الامكنة التي نشأ فيها القديس مارون كيف لا وهو ابو طائفة تُعَدّ من اعظم الامم اللبنانيَّة عطَّرها هذا الرجل العظيم بعيشتهِ وموتهِ

وفي الختام احببنا ان نلخّص للقرَّاء ما اتَّسعنا في بيانه في هذه المقالة لتبقى خلاصتها في ذاكرتهم :

١ً لا مراء انّ القديس مارون عاش ومات في القورسيَّة

٢ً انّ الرأي الاصوب في مولدهِ انهُ ولد ايضًا في القورسيَّة وليس في جوار انطاكية

٣ً دُفن القديس مارون في حدود القورسيَّة الجنوبيَّة

٤ً كان موقع دير القديس مارون مَهد الطائفة المارونية بين نهر العاصي وافامية. وهذا ممَّا لا ريب فيه

٥ً امَّا كيف دُعي هذا الدير باسم القديس مارون وكيف نقلت اليهِ ذخائرهُ فامران لا يمكن القطع بهما فنتمنَّى ان يحكم غيرنا فيهما حكمًا فصلًا فيصرّح الحقّ عن محضهِ (تمَّت)

يمين العليّ

رواية تاريخيَّة للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

كتاب لوقيليوس الى الضابط راسيوس

في ١٥ آذار

أيُّها العزيز

قد اجبتُك سابقًا عن رقيمك الذي وجَّهتَهُ اليَّ من قيصريَّة فيلبُّوس. الَّا انَّ

بطاقتك التي ارسلتها اليَّ آخرًا تفيدني عن سير الجيوش الرومانيَّة الى اورشليم على جناح السرعة فاخاف ان يكون كتابي فُقد في الطريق فمن ثم اسرعتُ الى تسطير هذه العجالة التي يأتيك بها احد ضُبَّاط طابورك وهو صديقنا پرسكوس الذي قدم علينا في مهمَّة وأكَّد لنا الاخبار الشائعة عن ورودكم الى اورشليم على فور قبل ان يشعر بكم العدوّ . . . وها هوذا الآن على وشك الرجوع اليكم فاسلّمهُ هذه البطاقة باسمك لتعلم اني لا انساك البتَّة

انَّ ما افدتني بخصوص النصارى الذين اجتمعتَ بهم في صيداء لبرهان جديد عندي على خبثهم ومكرهم اذ انهم تمكَّنوا من قلبك واستمالوا بعواطفك ألا انهُ يسرّني انك لم تُخدَع بدهائهم وختلهم فتنحاز الى شيعتهم . ولو عرفتهم حقَّ المعرفة لما لقوا عندك حظوةً واعتبارًا

وعلى كل حال اني ثابت على ودادك سواء سبتَ قلبك يهوديَّة او استغواك النصارى بغرورهم

وان سألتني عن اليهوديَّة صديقتك اجبتُك انَّها كاسفة البال تظهر على محيَّاها علائم الحزن والهمّ . وقد التقيتُ بها يوم امس وهي ذاهبة الى كنيسها فلم أرَ فيها ما كنتُ اعهد من الزيّ الباهر والزهو العاطر بل كانت لابسة الحداد مكسورة الفؤاد كأنّها ارملة ولعلّها آسفة على فراقك فتسلَّت حبًّا بك

ولكن طبْ قلبًا يا صاح اني اردتُ في كلامي مجرَّد التفكه . وما لا ريب فيهِ انَّ ابا الفتاة لا يزال في اورشليم فاضحى اذن اسيرَك وان احببتَ ان تنال جلَّ رغائبك فاقبض عليهِ يسرع الى تزويجك بابنتهِ صونًا لحياتهِ

استودعك الالهة . واني مُرسل اليك عوذةً اعطانيها احد سَحَرَة الكلدان وهي فعَّالة لردّ سهام العدوّ فالبسها وتذكَّر صديقك لوقيليوس

الفصل التاسع

بالنار والسيف البتَّار

بينا كان الرومان على قاب قوس من اورشليم يتهدَّدون المدينة بجيوشهم الجرَّارة كان اليهود في القدس لا يكترثون للعدوّ وهو لهم بالمرصاد . بل كانوا يتابعون خططهم

في محاربة اخوانهم فترى صباح مساء ذوي الاحزاب الثلاثة يهجمون على انحاء المدينة كالذئاب الخاطفة ينهبون ويسلبون ويقتلون ويحرقون فتلتهم النار بساعات قلائل مؤونة تكفي لقوت اشهر

وكان اليهود قضوا على هذا النمط شهر شباط وهم لا يرعوون عن غيهم اذ شاع في البلد اخبار قلقت لها الصدور واضطربت الاكباد فكانت الالسنة تتناقل خبر سير طيطس الى المدينة المقدَّسة ليحاصرها. الَّا انَّ قوماً آخرين كانوا يكذّبون هذه الاقوال ويزعمون انَّها طلائع الرومان يأتونهم حيناً بعد حين ليتنسَّموا الاخبار

وبقي اليهود على ريب منهم من يصدّق ومنهم من يكذّب. وكان الجند اصحاب المراقب التي حول المدينة رغماً عن كل هذه الاشاعات يتغافلون في مهنتهم وآل بهم الامر في مساء اليوم ٢٧ من شباط الى ان تركوا مراكزهم خوفاً من عاصفة ومض برقها وزمجر رعدها فالتجأوا الى المدينة لينجوا من اهوالها

وكان طيطس ينتظر ليلة كهذه لينقضَّ على عدوّه في ساعة لا يظنُّها. وكان قضى صلب يومه في جفنة على مسافة ٢٠ كيلومتراً من اورشليم متخفياً وراء الطلائع التي كانت سارت الى الامام بينما كان اليهود يحسبونهُ بعد في قيصريَّة

ولكن كيف يقطع جيشٌ عرمرم مسافة اربع ساعات دون ان يعلم بهم العدوّ فيتصدّون لهم ويسدّون في وجههم الطرق او يكمنون لهم في مضيق الجبال؟ ذلك ما كان يفكّر فيهِ طيطس عند نزولهِ في جفنة وهو لا يدري كيف العمل اذ ساعدتهُ الاقدار او بالحري أيدتهُ عين العلي لينتقم من شعب اسرائيل بعد ان طفحت كأس آثامهم وحرَّكت غضب الربّ. وذلك بانَّ عاصفةً قاصفة ثارت في مساء ذلك النهار فادلهمَّت لها الآفاق وتكاثفت الظلمات وصعقت الصواعق وسالت الامطار كالسيول الجارفة

فرأى طيطس في ثورة هذه الانواء اتفاقاً عجيباً او قل عناية صمدانيَّة فارسل الى الفئتين الخامسة والعاشرة اللتين عهد اليهما بتجسُّس اخبار العدوّ بان تسير الواحدة منهما على طريق عمواس والاخرى على طريق اريحا فتثبا في جوف الليل على المدينة من شرقيها وغربيها بينما هو يزحف بخيلهِ ورجلهِ من جهة الشمال. وكان بلغ طيطس بان الرُقباء برحوا مراقبهم خوفاً من العاصفة فزادهُ ذلك ثقة بالنجاح

فلما كانت الهجمة الاولى من الليل امر طيطس جيشهُ بالسير. فقام الرومان

كرجل واحد واسرعوا في لفّ المضارب وتحميل الاثقال ولبس بزّة الحرب ثم ساروا بكل نظام. وكان الرجّالة يمشون في مقدّمة الجيش ثم تتبعهم الاثقال. امّا الخيل فكانت في مؤخر الجيش يزمّها فرسانها ويضبطون عنانها لئلّا تخطف بصرها البروق فتخلع العذار وتركب رأسها فيجمح وتفضّ نظام العسكر

وكانت الامطار تجري كالقرب والرياح تعصف فتعيق الجند في سيرهم الّا انّ للرومان عزيمة لا تعرف الخور والضعف فكانوا يجرون ساكتين وهزيم الرعد مع زمجرة الرياح يخفيان اصوات نعالهم التي تترجرج لها الاودية والآكام. وكان البرق حيناً بعد حين يضيء هذا الكتائب الملاممة فيُرى لها منظر هائل ترتعد له فرائص الكون

فمشى الجيش نحو خمس ساعات وهو لا يني في المسير حتى بلغ الرُّبى التي تحدق باورشليم قُبَيل الفجر فانتشرت سراياه كلمح البصر في مشارف جبل سكوبوس (Scopus) واسرع الجند فضربوا خيامهم واضرموا النيران من جهة الغرب وعند جبل الزيتون لتكون لاخوانهم كعلامات يستدلّون بها. والحقّ يقال انّ الفئتين الخامسة والعاشرة اتمّتا اوامر القائد بكل حذق دون ان يشعر بهما العدوّ واشرفتا عند السحر على المدينة من جهتيها الغربية والشرقيّة في ساعة وصول معظم الجيش لينازلها من الشمال

فلما تنفّس الصبح امر طيطس فدقّت الابواق من كل جهات المدينة. فانبعث اليهود من النوم وقاموا مذعورين كأنّ ابواق يوم الحساب طرقت مسامعهم فدعتهم الى وادي الاموات فتراكضوا الى الاسوار والقلوب تخفق فرأوا شماليّ المدينة على جبل سكوبوس وعلى الربى المجاورة كتائب شعواء لا يُحصى عديدها. ثم وجّهوا الطرف الى الغرب فاذا بنيران الليل لم تزل مشبوبة. امّا جبل الزيتون شرقيّ المدينة فكان اهل اورشليم يرون من علوّ اسوارهم بريق سيوفهم ويسمعون صلصلة اسلحتهم وصهيل خيلهم واوامر قوّادهم

فعمل هذا المنظر في اليهود عملًا استطارت له قلوبهم فكنتَ تخالهم كأنّ السماء صعقتهم وانسدّت امامهم ابواب النجاة فلم يبقَ لهم ملجأ من الخَطْب الجسيم ولا عاصم من الموت الوحيّ

وكنتَ ترى الناس في اثناء ذلك يعجّون في شوارع ويضجّون والنساء يتجوّلنَ في

الساحات شمثات معولات لا يستطعنَ حيلة ولا يهتدينَ سبيلًا وكنَّ يصرفنَ بالاسنان ويدعونَ بان تسقط عليهنَّ الجبال وتغطيهنَّ الآكام وكذلك الشيوخ فكانوا يهيمون على وجههم لا يرون حولهم الّا آيات الموت والهلاك

ثم تخوَّف زعماء الاحزاب ان يخرج من المدينة فرسانها وكماتها فاسرعوا الى الابواب واقفلوها وسدُّوها بالمتاريس وضبَّبوها بضبب الحديد لئلاَّ يفرَّ احد هاربًا

ولمَّا صار ضُحى النهار اخذ الرومان يحفرون الخنادق ويهيئون آلات الحصار وينصبون المجانيق. بيد انَّ بعضهم اذ رأوا ابواب المدينة مقفلةً ظنُّوا انَّ اورشليم صارت في قبضتهم كالعصفور في يد الصياد فقال واحد لرفيقهِ: « ألا ترى اليهود سدُّوا في وجههم كل سبيل للخلاص وترى مدينتهم كأنَّها مسجَّاة بكفن الموت لا تسمع لاهلها ركزًا فلا يبقى حاجة الى مواصلة حفر الخنادق

فاجابهُ رفيقهُ الذي كانت حنَّكتهُ التجارب فشاب في الحروب اليهوديَّة: « اياك ان تنخدع بالظاهر فاني اعرف اليهوديَّ حقَّ المعرفة فهو كالافعى ان تأثرتها تلبَّدت في الارض وتحوَّت مختفيةً وان ابتعدتَ عنها نشبت ولدغتك في عقبك. وليس سكوتهم الّا مكرًا فلا يمضي علينا النهار قبل ان يضطرُّونا الى ترك المعاول واستبدالها بالحراب لردّ غاراتهم »

— انك تبالغ في وصف الاهوال. . . وعلى كلّ حال اذا خرجوا لمحاربتنا رأيناهم وتأهبنا لقتالهم

— اخالك وامثالك من الاغرار. وها انا ذا اراهنك بانك قبل الظهر تولّي الادبار امامهم ولولا قد٠١٠ الجند الذين لا ينكصون على الاعقاب لما يخلص منكم الّا نفر قليل

وبينا هو يتكلَّم اذ تقدَّم طيطس من عملة الخنادق لينشطهم ويقوّي عزيمتهم وكان مكشوف الراس لا درع عليهِ وهو على جوادهِ مشتمل بثوبٍ من الارجوان وعلى جانبهِ سيف القوَّاد وكان يصحبهُ عددٌ من الضبَّاط و ٦٠٠ فارس من فرسان العرب

فلمَّا رآهُ الجند سلَّموا عليهِ السلام العسكريّ وتحايدوا من امامهِ فرَّبتهم وهو يفحص العمل ثمَّ دار في منعطف جبل سكوبوس فوجدهُ مزروعًا بشجر الزيتون المغروسة على شكل السطوح المدرَّجة التي من شأنها ان تعيق حركات جيشهِ

ثم نظر الى المدينة فرأى جوانبها قفرة ليس فيهــا عريب ولا ينبس من اهلها نابس فقــال لحاشيته: « هلمَّ بنا نقترب من اسوار المدينة على مسافة مرمى سهم لنجسَّ اخبارها »

وما انتهى من كلامه حتى ركض جواده نازلًا الى لحف الجبل وارتمَّ الفرسان فتبعوهُ من ورائه فكانت الحصى تتطاير تحت اقدام الخيل ويُسمع لمشيها جلبة عظيمة

فلمَّا رأى الجندي المتجنِّد بخبرة الحروب التفت الى رفقته فقال لهم: « هيّئوا الصوارم فاني اتوقَّع هولًا عظيمًا » . قال ذلك وجرَّد سيفهُ وشرع يسنُّــهُ على مسنٍ من الصوَّان

فضحك منهُ بعض رصفائه وواصلوا العمل بالحفر . وكان طيطس مع شرذمته تواروا عن العيان من جهة المدينة . ثم هدأت اصوات الخيل وبعد برهة لم يُسمع غير اصوات المعاول تضرب في الارض الغليظة حتى تبلغ الكدية

وهم لكذلك واذا بصوت شبيه بزمجرة السباع بلغ مسامع العملة فنظروا في جهة الصوت وتحقّقوا بعد برهة انَّ اليهود ناجزوا طيطس وسريَّتهُ القتال . فاسرع الجند الى اسلحتهم وانتظموا في الصفوف لكنَّهم لم يبرحوا مكانهم ريثما يأتيهم الامر بالسير الى العدوّ

فمكثوا حينًا كذلك وهم يتقلّبون على جمر القتاد حتى رأوا نفرًا ممَّن احجم عن العدوّ وولّوه الادبار عُزلًا مطلقين العنان لخيلهم وهم يصرخون بل . فيهم: « الويل الويل قد قُضي على الرومان . . . قد مات القائد »

فما سمع الجند الموكولون بالحفر هــذا القول حتى سرى في عروقهم هزَّة كاهتزاز الكهرباء وتقدَّمهم احد الضبَّاط الراجعين من الواقعة قائلًا: هيَّا بنا نموت مع قائدنا

فجروا ركضًا يتسابقون الى محلّ القتال ونظروا واذا بالوف من اليهود قد احاطوا بالرومان يتعاورونهم بالنبال ويعاركونهم عراك الليوث الكواسر الَّا انَّهم لحسن السعــد تحقَّقوا انَّ طيطس لم يُقتل اذ ميَّزوا ثيابهُ الارجوانيَّة فصرخوا صرخةَ رجل واحد وحاولوا ان يلقوا بنفوسهم في معمعة الوغى للدفاع عن زعيمهم اذ رأوا طيطس خارجًا من بين العدى ناجيًا بنفسه مع فئة صغيرة من الفرسان الذين حاربوا معهُ محاربة الابطال . ولولا حزمهُ ورباطة جأشه لما تملَّص من ايديهم وكان يردُّ بسيفه حرابهم ويضربهم يمينًا وشمالًا

الى ان شكَّ بمهمـازهِ فرسهُ فوثب على العدوّ وداسهم بقوائمهُ ونجّى فارسهُ من حلقتهم فتبع حرسهُ آثارهُ وخاضوا معهُ

ولمَّا رأى طيطس الجند القادمين لنجدتهِ كرّ على اليهود ثانيـة وضربهم ضربًا مبرّحًا فصرع منهم قومًا والجأ الباقين الى الفرار وعاد ظافرًا بعد ان فقد كثيرين من اصحابهِ

فلمَّا تشتّت شمل العدوّ التفت الجنديّ الخبير بآداب الحرب الى رفقتهِ قائلًا : « ألا ترونني صدقت في قولي ؟ الم أُصب اذ سننتُ صارمي وتهيَّأت للقتـال . فانظروا كيف يقطر غرارهُ دمًا »

ثم طلب ذاك الجنديّ الحديث بالجنديَّة الذي كان واثقًا بالظفر لا يكترث لامر اليهود . فلم يجدهُ حيًّا وانَّما وجد جثَّتهُ مع جثَّة يهوديّ كان غرب حسامَهُ في فؤادهِ ثم وقع ميتًا من بعدهِ بنبلة خرقت اصداغهُ . فتحنَّن عليهِ وقال:

أسفي عليك يا صاح اذ وقعتَ في شرخ الشباب فثكلت امُّك وحيدها . . . ولو امكنني لفديتك بحياتي لكنْ

الموت نقَّاد على كفّهِ جواهرٌ يختار منها الجيادْ

*

وكان بين جرحى ذلك النهار الذي اوشك ان يفجع الرومـان بموت قائدهم بطلٌ عرفهُ قرَّاؤنا ألا وهو راسيوس الضابط الذي خاطر بنفسـهِ وحارب على جانب قائدهِ فأُصيب دونهُ بطعنةٍ كادت تكون القاضية عليهِ . فكان سقط على الحضيض مضرَّجًا بدمهِ مغشيًّا عليهِ . فلمَّا هرب العدوّ اسرع طيطس وامر بنقـل الجريح الى خيمتهِ واضجعهُ على فراشهِ واستدعى لهُ على جناح السرعة بطبيب يُعنى بامرهِ

فوصل الطبيب ووجد الضابط في اسوإ حال لانَّ كتفـهُ كانت مخلوعة وفي صدرهُ جرحٌ بليغ يفور من فوهتهِ نجيع الدم . فاسرع الى ضماد الجرح وحبس الدم السائل ففتح الجنديّ عينيهِ بعد حين ونظر الحضور حولهُ بدهش ثم تأوَّه وقال:

وماذا جرى لابن الامبراطور ؟

— اني نجوتُ بنفسي والفضل لشهامتك

قال طيطس هذا وامسك بيد ضابطهِ مؤذنًا بشكرهِ لهُ . فاردف راسيوس:

— فلا بأس الآن ان اموت وقد نجا وليّ نعمتي

— كلاً يا عزيزي بل اريد ان تحيا وستحيا ان شاءت الالهة . . .

— اظنُّ أنهُ قد قُضي عليَّ . . . وانت يا لاونطيوس اين انت ؟

قال لاونطيوس : اني بقربك يا صاح

— اني اشكرك اذ انتزعتني من ايدي هؤلاء الهمج . فاسمع لي الآن بان اوصيك بوصيّتي الاخيرة . اذا مررتَ ببيروت اذهب الى دار الورود وأخبر الفتاة التي طالما ذكرتها لك واعلمها باني متُّ موت الشجعان وانَّ اسمها حلّى فمي في ساعة النزاع وانَّ قاتلي احد بني امّتها . فلتحيَ من بعدي سعيدةً

فلمَّا انهى راسيوس كلامهُ احسَّ بان قواهُ خارت ثانيةً فاغمي عليهِ . فنظر طيطس الى الطبيب قلقاً كأنهُ يتوسَّل اليهِ بان يخلّص هذا البطل الباسل من مخالب المنون فهزَّ الطبيب برأسهِ حيناً ثم قال :

وان تكن حالتهُ مؤذنة بالخطر الَّا اني بقوَّة اسكولاب اله الطبّ قد شُفيتُ من كان اقرب منهُ الى المنيَّة

فسُرّي عن طيطس واخذ يقصُّ على الضُبَّاط الذين اتوهُ ليهنئوهُ بالسلامة ما جرى لطليعتهِ قال :

لمَّا نزلنا من جبل سكوبوس وبلغنا اقصى الوادي حيث يُرى قبر هيلانة ملكة العراق اردنا ان نصعد الربوة التي تقرّبنا من اسوار المدينة . وكانت ابوابها محجوبةً عنَّا باكمةٍ هناك فامرتُ الفرسان بان يدوروا حول التل فلمَّا رآنا احد اليهود المراقبين من اعلى السور عند البرج المعروف ببرج النساء لمَّع بثوبهِ وصرخ صرخةً هائلة فاجاب الوفُ من الجند بهتاف عظيم ثم انفتح الباب وهجم علينا قومٌ كعداد النمل . وكنَّا في قعر الوادي لا نستطيع حراكاً فامرتُ بالرجوع القهقرى وصرتُ في آخر السريَّة بعد ان كنتُ في رأسها . وكان بقربي الضابطان راسيوس ولاونطيوس مع شيخين من شيوخ العرب فحيل بيننا وبين فرساننا واضحينا هدفاً لسهام العدوّ التي كانت تتناوبنا من كل جانب وليس ترس ولا درع يقينا . وما لبث اليهود ان احاطوا بنا فجعلنا اتكالنا على آلهة السماء ثمَّ غمزنا جيادنا ونحن نضرب يميناً وشمالاً بالسيف متّقين السهام بِرؤوس خيلنا . وبينا كنَّا نخوض غمرات الموت اذ تقدَّم مني علج ذو قامة كبيرة ورفع عليَّ جرزة

من الحديد ليهشم بها راسي. فاسرع راسيوس كالبرق ووقاني بجسمه فوقعت عليه الجرزة فسقط عن صهوة فرسه صريعاً. فالحق به الاعداء ليجهزوا عليه فوثب لاونطيوس عليهم ولم يزل يقطع في اجسامهم حتى خلّص راسيوس واردفهُ على جواده الّا انَّ سهماً كان اصاب صدرهُ في مطاوي القتال فجرحهُ الجرح الذي ترون. وكنّا اوشكنا على الهلاك اذ رأى العدوّ جنودنا مقبلين لمساعدتنا فولّى هارباً. وقد نظرتم بالعيان ما جرى بعد ذلك فلا حاجة الى وصفهِ (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

TRIDTSATILÈTIE SPETSIALNYKH KLASSOW LAZAREWSKAVO INSTITUTA VOSTOTCHNYKX IAZYKOW. *Pamiatnaia Knijka*. Moscou, 1903. in-8° XXII-147

تاريخ مكتب لازاريف الشرقي واعمالهُ منذ ٣٠ سنة

ان في موسكو مكتباً انشأتهُ سنة ١٨١٧ اسرةٌ شريفة تُدعى لازاريف وكانت غاية مُنشئيهِ الاولى ان يُخرِّج فيهِ بعض احداث الارمن الفقراء ثم يُجعل كمدرسة الدروس الشرقيَّة العمليَّة يتفرَّغ لها بعض نجباء الشبَّان قبل ان يخدموا وطنهم كعُمَّال في جهات المملكة الروسيَّة. ولمَّا كانت السنة ١٨٧٢ خُصص المكتب المذكور بدرس اللغات الشرقية وتواريخها وآدابها ليس الّا فاضحى شبيهاً بالمكاتب العليا التي تُرى اليوم في حواضر اوربَّة. وفي الكتاب الذي أُرسل الينا تاريخ هذا المكتب منذ ثلاثين سنة وذكر اساتذته ومشاهير علمائهِ وتلامذتهِ الذين درسوا فيهِ مع المصنَّفات التي وضعوها في لغات شتى ونال البعض منها الجوائز الشرفيَّة. وقد عدَّد مدير المكتب الدكتور ف. مِلِّر والاستاذ خاخانوف ما وجدهُ المكتب في طريقهِ من العقبات والمشاكل المتعدّدة في السنين الأُولى من انشائهِ الّا انَّ ثبات اصحابهِ ونشاطهم غلب كلَّ العوائق بعد مدَّة فاحرز اليوم مكتب لازاريف من الشهرة ما يجعلهُ في عداد المكاتب الشرقيَّة المعتبرة التي تفتخر بها الدُول الكبرى فنهنّئ مديري هذا المكتب واساتذتهُ ونتمنَّى لهم أَلَّا يزالوا منائر للعلم واعلاماً للآداب. وفي الكتاب عدَّة صور جميلة الاب بترس

Trois traités d'anatomie arabes

par M. Ibn Zakaryya al-Razi. Ali Ibn al-Abbas et Ali Ibn Sina
texte inédit de deux traités, traduction de P. de Koning.
Brill. Leide, 1903, p. 830

ثلاث مقالات عربية في الجراحة لابن زكريّاً الرازي وعلي بن العبّاس وعلي بن سينا

لا تزال مدينة ليدن تغني العلوم بمطبوعاتها الشرقيَّة عموماً وبمنشوراتها العربيَّة خصوصاً. وقد اتاح لها الله قوماً من ذوي البراعة والنشاط يكسبونها فخراً منذ ثلاثمائة سنة بنيّف

اذا سيّد منهم خلا قام سيّد همام لما قال الكرام فعولُ

وهاءنذا اليوم بشاهد جديد على هذه الهمّة البعيدة ألا وهو مجلّد ضخمٌ يحتوي ثلاث مقالات عربيَّة في الجراحة اثنتان منهما نشرهما لاوّل مرّةٍ الدكتور الفاضل ب. دي كوننغ وهما لمحمّد بن زكريّا الرازي من كتابهِ الشهير بالمنصوري ولعليّ بن عيسى نقلًا عن تأليفهِ الموسوم بالملكي (١ ثمَّ نقلهما الدكتور الموما اليهِ الى الافرنسيَّة وذيَّلهما بحواشٍ علميَّة مفيدة. واضاف الى هاتين المقالتين ترجمة مقالة ثالثة لابن سينا نقلًا عن قانونهِ الشهير وختم الكتاب بمعجم للالفاظ الطبيَّة المشروحة فيهِ. فنثني على الدكتور كوننغ الثناء العاطر ونحضّ كل الاطبّاء الشرقيين على مطالعة كتابهِ النفيس

ديوان شعر النحلة المنظوم في خلال الرحلة

طبع في الاسكندريَّة سنة ١٩٠٢ (ص ٥٨٤)

اهدى صاحب السعادة الشهير ناظم هذا الديوان الفريد مكتبتنا الشرقيَّة نسخة منهُ فلم نجد ثناء اولى بهِ من نقل بعض شذرات نعدُّها كواسطة قلادتهِ الفاخرة. قال في نسبة يوبيل لاون الثالث عشر الكهنوتي:

أروضُ جواد الفكرِ في حلبة الثنا عليكَ ايا من في الانام تفرَّدا
لقد كنتَ في سنِّ الشباب بغابةٍ تصيدُ وحوشاً او طيوراً تعمُّدا
فقد صرتَ صيَّاداً تصيدُ كبطرسٍ وقمتَ رئيساً في الكنيسةِ مرشدا

---

١) قد حصلت في السنة المنصرمة مكتبتنا الشرقية على قسمٍ من هذا الكتاب الجليل خُطَّ سنة ١٠٨٣ هـ اوقفهُ على مكتبتنا حضرة القس الفاضل ارجين دلّال الحلبي السرياني جازاهُ الله خيراً. وهو يتضمَّن المقالة التاسعة في ١١١ باباً

وكِـلًا لسمعانَ بن بونا ونائبًا — اقامك عيسى في البريَّةِ اوحدا
فاكملتَ في الكهنوت خدمةَ مذبحٍ — بخمسين عامًا كنت فيهِ ممجَّدا
وصرتَ لنا في الفضل خيرَ نموذجٍ — ونلتَ من الرحمان قدرًا وسؤددا
فيا لك من حبرٍ تحلُّ مقامهُ — ملوكٌ تحتَ ناديك طوعًا وسُجَّدا
واهدت اهالي الشرق والغرب جملة — لبانًا ومرًّا مستطابًا وعسجدا

وقال يوم عيد جلوس الحضرة السلطانيَّة الفضّي سنة ١٩٠٠ ونظمهُ بثماني لغات:

تبارك عيدٌ قد تكرَّر خمسةً — وعشرين عامًا بالسعود مجمَّلا
سألتُ الهي ان يديمَ بغبطةٍ — مليكًا على العرش استوى وتكلَّلا

وممَّا استطبناهُ قولهُ من قصيدةٍ في الوالدة:

رعى الله امًّا افتديها بمهجتي — تردَّت من الافضال اجملَ حلَّةَ
لقد زيَّنتها من صباها فضائلٌ — وفاقت نساء الارض طرًّا بعفَّةِ
حلاها ذكاءٌ والكمالُ جمالها — ومنحةُ عقلٍ زيَّنتها بحكمةِ
تولَّت غذانا والقيام بامرنا — وضحَّت نفيسَ العمرِ منها لقنيةِ
وكم من ليالٍ قد قضتْها تسهُّدًا — تلازم مهدي في منامي ويقظتي
يُثقِّل نومٌ جفنَ امٍّ حنونةٍ — فيظهر حبُّ الوالدات برقدةِ
تهزُّ سريري اذ يهزُّ فؤادها — سرورٌ بنومي واضطجاعي وغبطتي

وفي ختامها: سلامي على امٍّ اراها بمهجتي — وعقلي وفكري عندها كل لمحةِ
فدامت ودام المدح فيها مكرَّرًا — وعطر ثناها فائح في البريةِ

وقال نثرًا يصف صعوده الى جبل النار في نابولي في سنة ١٨٧٩:

«...... فتسلقت ذاتَ يوم ذروة الجبل العالية، واخذت اطوف حول فوهته الهائلة، وانا اقفز من صخرٍ حارٍّ الى كتلةٍ من كبريتٍ ونار، حتى احترقت في رجليَّ النعال، وضايقت ابخرة الكبريت الكثيفة صدري بالسعال، والحجارة المتقذفة في الهواء تهدّدني بالحتف والوبال، وانا لا ابالي بتلك الحال، ودليلي ورائي يحذرني من الاخطار، وانا متعنِّتٌ لا اكترث بذلك الانذار، فلمَّا قطعتُ نحوًا من خمسمائة خطوة، من محيط الفوهة، وصرتُ منها الى الجهة القبلية، هبَّت ريحٌ شمالية، وساقت اليَّ من كثيف دخان الزفت والكبريت ما اعمى مني البصيرة والبصائر، وادمى العيون وملأ الحناجر، فغبتُ لساعتي عن الحواسّ، وفقدتُ بالكلّيَّة الاحساس، وسقطتُ على الارض لا اعي، ولسان حالي يندبُ خيبة الاستقراء والسعي، واوشكتُ ان اهوى في ذلك الفم المفغور، وكدتُ اكون طعام ذلك اللهيب المسعور، فانتشلني دليلي في الحال، وهرول بي في استعجالٍ الى حجرةٍ في تلك الجوار، منقذًا ايَّاي من انياب غول النار، ولولاهُ لجاورتُ بلينيوس الفيلسوف، في قعر جبل فيسوف...»

ل. ش

شذرات

المراكب الجويّة — عاد اصحاب المناطيد في هذه الاشهر الاخيرة فحلّقوا في الجوّ بمراكب جديدة حسّنوا ادواتها واستدركوا فيها خللاً ما سبق منها. ومما يُذكر منها منطاد افرنسي يُدعى ايروكاوب نهض من باريس في ١٨ نيسان فقطع المسافة التي بين باريس ومرسيلية (٧٥٠ كيلومترًا) باثنتي عشرة ساعة ونصف وبلغ في العلوّ ٣١٠٠ متر فوق سطح البحر ثمّ نزل راكبوهُ قريبًا من أزل بسرعة غريبة دون ان يصابوا بضرر — ومن المناطيد المشهورة مركب الماني ركبهُ الدكتوران هِنك وامدون صعد الجوّ من مونيخ فبلغ ٧٢٠٠ متر علوًّا — ومنها البالون المنسوب الى ليبودي (Lebaudy) استناد فيهِ صاحبهُ من كل الامتحانات التي سبقتهُ اليها رصافهُ فجمع فيهِ الخفّة والصلابة وجهّزهُ بادوات لطيفة غاية في المتانة. وفي جانبيهِ رفّاسان ودفّة لضبط حركاته أمّا الآلة المولّدة للحركة فهي محرّك من البترول قوّتهُ ٤٠ حصانًا وقد جرَّب المسيو ليبودي منطادهُ تسع مرّات بالنجاح التامّ وهو يقطع في الساعة ٤٠ كيلومترًا بنيّف

السماد الخشبيّ — امتحن الدكتور جوناس الالماني تسميد الارض الزراعيّة بقطع الخشب المدقوق المنعَّم فوجد انّ هذا السماد افضل من سواه لأنّهُ يصون نداوة التربة ويدفع عن النبات مضرّات الصقيع في الليالي الباردة ويصلح للسماد الكيمويّ

الزبدة والحليب في نيويرك — انّ اهل نيويرك يأكلون في اليوم ١,٢٠٠,٠٠٠ لترًا من الزبدة او الحليب وتسعة اعشار هذه الكميّة الوافرة تأتيهم بالسكك الحديديّة من المعاملات القريبة وبعضها يأتي من بعيد بالعلب المجلّدة فيقطع مسافة ٥٠٠ الى ٦٠٠ كيلومتر. ولئلّا يختر اللبن وتسنخ الزبدة ترى في القطارات الحديديّة اجهزةً خصوصيّة مبرّدة تحفظ اللبن والزبدة في الدرجة الخامسة فوق الصفر

علاج الغرقى — قد تمكّن اخرًا في فرنسة بعض الاطباء من انعاش غريق بقي ثلاث ساعات في الماء وذلك بسحب لسانهِ سحبًا منظمًا مدّة نحو ثماني ساعات فقام الغريق معافًى. وقد اختبر غيرهُ من الاطباء حُسن هذا العلاج في المخنوقين

باكسيد الكربون وفي المشتوتين. ومن ثم وضع الدكتور ميكالس آلة بلولب تدور بنفسها وتسحب لسان المصاب زمناً طويلاً ريثما ينتبه

أسئلة وأجوبة

سأل احد تلامذة مدرسة الحكمة الادباء عن اصل المثل « اذكر الذيب وهيّ القضيب »

اصل مثل

ج هذا من امثال العامة ولعلهُ حديث وهو يوافق المثل الافرنسي A parler du loup on en voit la queue والظاهر انَّ العامة لمَّا ارادوا الدلالة على كون الشرّ اقرب الى الانسان من طرفة العين اخرجوا هذا المعنى على صورة حسيّة على انظ الاسر وخصّوا الذئب لما يُعهد من خبثهِ ودعارتهِ

س وسأل احد الادباء: هل التثليث على قول النصارى حادث او قديم فان كان حادثاً لزم التغيّر في ذاتهِ تعالى وان كان قديماً كيف جهلهُ الانبياء ولم يعلمهُ موسى شعب اسرائيل

التالوث الاقدس

ج انَّ سرّ الثالوث الاقدس قديمٌ بلا مراء اذ لا يحدث في الذات الالهيّة تغيُّر البتَّة. امَّا الانبياء فلم يجهلوهُ جهلاً تامًّا ولنا في ذلك عدَّة دلائل في التوراة ونبوَّات العهد القديم. وانَّما اوحى الله بهِ اليهم وحياً جزئيًّا كاسرار اخرى عديدة وكل الى ابنهِ الوحيد ان يُميط عنها الحجاب اذا تجسَّد. هذا وان سلَّمنا بان الانبياء جهلوا سرّ التثليث فلا ينتج عن ذلك الَّا امر واحد وهو انَّ الله يوحي باسرارهِ لمن يشاء ومتى يشاء

س وسألنا لايّ سبب لا يعطى القربان للاطفال كما يعطى العماد أليس المسيح هو القائل: « ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمهُ فلا حياة لكم في انفسكم » كما قال: « ان لم يولد احد من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت السماوات »

توزيع القربان للاطفال

ج انهُ لفرقٌ عظيم بين سرّ العماد وسرّ القربان. فانَّ سرّ العماد مبدأ الحياة الروحيَّة فلا يمكن احداً ان يخلص دونهُ امَّا القربان الاقدس فانهُ قوتٌ للنفس ومن طبيعة القوت ان ينمي الحياة ويعوّض ما فُقد منها ولمَّا كان الاطفال في سنّ لا يفقدون فيهِ الحياة الروحية اي النعمة بالخطيَّة فلذلك ليسوا الى حاجة ماسَّة الى هذا السرّ ريثما يبلغون سنّ التمييز فيقتاتون بهِ

ل. ش